جوهريات الاشياء الواقعة فى عالم الكون ، وهو جملة عالم الاجسام مما يجوز عليه التغير والدثور والحدوث والانقضاء ، بعد ماكان متحفظاً[١٢] فيها شیء كالاصل والعمود ، و هوالذی يعبر عنه بالفصل الأخير ، و هو بازاء صورة تمامية ، و اذا حققت الامـر هكذا ، سهل عليك ان تذعن بحدوث عالم الخلق كله و دثوره و زواله ، بل بفناء كل ناقص من جنس و مادة فی ما يكمل به و يرجع اليه من فصل و صورة له ، حتى ينتهی الامر الی صورة الصور ، والكمال الاخير الذی لانقص فيه ، ولا قوة امكانية استعدادية حتى يستحيل الی صورة اخرى ، فهو مرجع هذه الاستحالات ، و غاية هذه الحوادث والحركات ، فيكون لتماميته من عالم الامر الحتمی ، و صورة القضاء الربانی من الحقايق المتأصلة التی هی ما عندالله ، وهی غيرقابلة للزوال ، لانها ليست من جملة العالم ، بل هی كصفاته من لوازم ذاته و عالم القضاء الربانی ، و صور ما فی علم الله مصون عن التغير والحدثان ، لانها فانية فی الله باقية ببقاء الله ، لاالتفات لهم الی ذواتهم وهوياتهم ، لان هـويـاتهم لايتحيث بحيثية الا حيثية واحدة وجودية وجوبية ، من غير دخول معنی امكانی او استعدادی ، او جهة عدمية او شوب شرية ، فلا فرق بينهم و بين حبيبهم الا بالتمام والنقص والشدة والضعف ، فهی من مـراتب الهيته ، ولمعات اشراق ربوبيته ، لكونها اشعة واضواء متفاوتة فی النورية والقرب ، بالقياس الی شمس عالم العقل والفضل ، و منبع الجود والوجود ، و مفيض الرحمة والنور .

فصل

فی توضيح القول بحدوث العالم الجسمانی و دثوره و زواله

قد اهتديت الی طريق عرشی ونمط الهامی لم يسبقنا احد من المشهورين بالصناعة النظرية ، حيث علمت بالبرهان : ان الطبيعة السارية فی كل جسم ، التی هی صورته و مقومة مادته ، امر متبدل الذات متدرج الهوية الكونية ، لايبقى وجوده زمانين ، فضلا عن ان يكون قديماً بشخصه ، و ما من جسم فلكی

١٢ــ منحفظاً ن م ل

او عنصرى الاوله صورة طبيعية و قوة سارية فيه جسمانية ، هى مبدأ صفاته و لوازمه و اثاره المخصوصة ، و ثبت ايضاً ان المادة لكل مركب او بسيط من الجسم شأنها القوة والامكان والتبدل والحدثان ، و ليست واحدة بالهوية والعددية ، بل بالعموم والجنسية ، على ان وحدة الطبيعية الجسمية ايضاً و ان كانت عددية لكنها غير باقية ، بل متكررة على نعت الاتصال والفرق بين الوحدتين لايخلو عن صعوبة و اشكال .

وقد ثبت ايضاً فقر الهويات الوجودية العقلية الى بارئها و منشيها من حيث ذاتها ، كما او مانا اليك : من انها بذاتها مستغرقة فى بحر اللاهوتية ، مطموسة اشعتها فى نور الاحدية القيومية ، ليست لواحد منها كينونية لنفسه غير كينونية الحق الاول ، لا وجوداً ولا مفهوماً ، بخلاف الماهيات الغير المجعولة المسماة بالاعيان عند طائفة و بالماهيات والكليات الطبيعية عندهم ، فلها تقرر بحسب الشيئية لابحسب الوجود ، اذ وجودها ليس غير وجود الاشخاص ، فلا يتصف بالقدم ولا بالحدوث ، لانهما من صفات الموجود ، والماهية من حيث هى هى ليست الا هى .

فالكليات الطبيعية اعنى الماهيات غير قديمة ، والاشخاص الوجودية من كل نوع جسمانى طبيعى حادثة ، لانها متجددة متصرمة ، فلا قديم الا الاول تعالى .

اما الانيات المفارقة والهويات الصورية ، فهى خزائن ما فى علم الله من الحقايق العقلية والمثل الالهية الثابتة عندالله ، كما قال : و ان من شىء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم[١٣] .

فالقضاء الالهى محفوظ عن التغيير والتحويل ، و كتابه مصونة عن النسخ والتبديل ، والذى يتطرق اليه النسخ والمحو هو لوح قدره الذى فيه تفصيل قضائه الازلى ، وهو كتاب المحو والاثبات ، المشار اليه بقوله : يمحوالله ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب[١٤] .

و كذا العالم الجسمانى بجميع جواهره و اعراضه المادية و الصورية كلها كتاب مكتوب بمداد الهيولى التى هى كالبحر المسجور ، يحدث فيه

١٣ـ حجر ٢١   ١٤ـ رعد ٣٩

صورة بعد صورة، نقشا عقیب نقش، کامواج البحور علی مر الدهور، فیطوی کتابة وینشر اخری، و هکذا فی التجدد والدثور الی یوم النشور.

فالعالم بجمیع ما فیه کل ان یوجد فیه منها شخص اخر، و یعدم و یوجد مثله فی ان اخر، ولتعاقب الامثال و تماثل الابدال ظن ان الأشخاص باقیة و لیست کذلك، بل کل نوع افراده کافراد غیره متکررة متکثرة متعاقبة الحدوث، فکما لم یکن فی افراد الانسان مثلا شخص جسمانی دائم الوجود، فکذا فی نوع الذی قیل انه منحصر فی واحد کالشمس والقمر و غیرهما، فان الشمس مثلا و ان لم یکن لها افراد متمیزة متفاصلة الوجود والتشخص، الا ان لها تشخصات تدریجیة الوجود والحدوث علی نعت الاتصال التجددی، فلیست لها هویة جسمانیة مستمرة الکون الی یوم القیامة، والزمان من جملة المشخصات للجواهر الجسمانیات، فحال هذه الجواهر الجسمانیة فی وجودها و دوامها کحال نفس الزمان والحرکة فی ان بقائها عین الحدوث، و دوامها عین الانقضاء، ثم ما اشتهر فیما بین القوم: ان النوع باق فیما تصرمت اشخاصه بتعاقب[۱۵] الافراد، لیس معناه ان للنوع وجوداً واحداً مستمراً باقیاً، فان ذلك من سخیف القول، وقد برهن ابوعلی بن سینا علی فساده، و صنف رسالة فی ابطال القول ببقاء الکلی الطبیعی فی ذاته مع قطع النظر عن خصوصیة الافراد.

فصل

فیه تنویر

فاذن قد بزغ نور الحق من افق البیان، وطلعت شمس الحقیقة من مطلع البرهان، وانکشف لدی العارف البصیر والمحقق الخبیر: ان السماء و السماوی کالارض والارضی، فی ان لابقاء لاحد منهما سرمداً، لاشخصا ولا نوعا، و ان حال الشمس والقمر کحال زید وعمرو فی تبدلهما و دثورهما و زوالهما وانقطاعهما من جهة اشتمالهما علی الطبیعة السائلة الزائلة، الا ان تشخصات السماء و الکواکب مع تجددها متصلة، و تشخصات العنصر

۱۵ــ متعاقب ن ل

والمرکبات منفصلة ، و ثبت ان‌الحمل والثور والاسد فی عالم الافلاک ، کالحمل والثور والاسد فی عالم الارضین ، من ان اشخاص کل من‌القبیلتین متجددة فی کل حین ، و حقایقها عندالله باقیة ، کما قال عز من قائل : ما عندکم ینفد و ما عندالله باق[۱٦] و هذان : ای‌البقاء العقلی عندالحق والنفاد الجسمانی عندالخلق ، هما المشار الیهما بقوله : اولم یرالذین کفروا ان السموات والارض کانتا رتقا ففتقناهما[۱۷] و قال ایضاً : و ان من شیء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم[۱۸] و ذلک لنقصان الدیمومیة الحسیة ، لانها متراکمة من تضاعف جهات القوة والامکان ، و تراکم حیثیات الکثرة والنقصان ، فی کل ماله قوة مادیة و مقدار جسمانی مکانی زمانی ، فالشخص مادام وجوده الکونی، لغایة ضعفه وقصوره کالطفل محتاج الی دایة کالزمان، و مهد کالمکان ، و محرک للمهد کالفلک ، فان الدنیا کلها دار زوال وانتقال و تبدل و ارتحال ، والاخرة دار قرار وبقاء ، و فیها موطن المقربین والاخیار ، ولقصور هذا الوجود الزمانی المکانی یکون اول کل موجود غیر اخره ، و ظاهره غیر باطنه ، ففیه یجتمع الوجود مع‌العدم ، والحدوث مع القدم ، ویتشابک الخیر والشر، و یتعانق النفع والضر، ولضیق وعاء هذا الوجود یقع التضاد بین الانداد ، والتواصل بین الاضداد .

فصل

فی ذکر شواهد الحدوث الزمانی من‌الدلایل السمعیة القرانیة، و نقل اقوال الحکماء المتقدمین فی‌هذاالباب، و تطابق ارائهم فی‌الحدوث

اما الایات : فمثل قوله تعالی : و تری الجبال تحسبها جامدة و هی تمر مر السحاب[۱۹] و قوله عزوجل : بل‌هم فی لبس من خلق جدید[۲۰] وقوله : واتوا به متشابها[۲۱] و قوله فی غیر موضع : خلق‌السموات والارض و ما بینهما

۱٦ـ نحل ۹٦ ۱۷ـ انبیاء ۳۰
۱۸ـ حجر ۲۱ ۱۹ـ نمل ۸۸
۲۰ـ ق ۱۵ ۲۱ـ بقره ۲٥

فی ستة ایام[۲۲] وجه دلالة هذه‌الایات علی‌الحدوث التجددی مما بیناه ، و سنبینه فی مقامه عند التفسیرلها ، و قوله : یوم نطوی السماء کطی السجل للکتب[۲۳] و قوله : والسموات مطویات بیمینه[۲٤] و قوله : اذا زلزلت‌الارض زلزالها[۲٥] و قوله : و حملت الارض والجبال فدکتادکة واحدة[۲٦] و قوله : یوم تمورالسماء موراً[۲۷] و انما نسب وقوع هذه الاحوال الی یوم‌القیامة ، و ان‌کانت الاجسام الدنیاویة دائماً فی‌التجدد والزوال والانقلاب ، لان ظهورها علی الخلایق جمیعاً مختص بذلك الیوم و بتلك النشأة الثانیة و قوله : علی ان نبدل امثالکم و ننشئکم فیما لاتعلمون[۲۸] و قوله : وکل اتوه داخرین[۲۹] و قوله : فقال لها و للارض ائتیا طوعاً اوکرهاً ، قالتا : اتینا طائعین[۳۰] و مثل قوله : کل الینا راجعون[۳۱] و قوله : ان یشأ یذهبکم و یأت بخلق جدید[۳۲] و قوله فی تقلب‌الانسان و تحوله الذاتی و حرکته الجوهریه : و انا الی ربنا منقلبون[۳۳] و قوله : یا ایها الانسان انك کادح الی ربك کدحاً فملاقیه[۳٤] و قوله : هوالذی ذرأکم فی‌الارض والیه تحشرون[۳٥] و قوله : وقد خلقکم اطوارا[۳٦] .

و اما اقوال‌الحکماء وکلماتهم و نصوصهم فی حدوث العالم الجسمانی و دثوره فاکثر من ان یحصی ، فان القول بقدم العالم و دوام افلاکه وکواکبه و مواده و بسایطه انما نشأ بعد قدمائهم وکبرائهم و بعد زمان ارسطاطالیس فانه ایضاً موافق لشیوخه و معلمیه کافلاطن ومن قبله سقراط و فیثاغورس و غیرهم ، ما انشأ الا القول بالحدوث والتجدد والدثور کما ستظهر لك ان‌شاء الله .

۲۲ـ فرقان ٥۹
۲۳ـ انبیاء ۱۰٤
۲٤ـ زمر ٦۷
۲٥ـ زلزله ۱
۲٦ـ حاقه ۱٤
۲۷ـ طور ۹
۲۸ـ واقعه ٦۱
۲۹ـ نمل ۸۷
۳۰ـ فصلت ۱۱
۳۱ـ انبیاء ۹۳
۳۲ـ ابراهیم ۱۹
۳۳ـ اعراف ۱۲٥
۳٤ـ انشقاق ٦
۳٥ـ مؤمنون ۷۹
۳٦ـ نوح ۱٤

قال هذا الفيلسوف الربانی فی کتابه المعروف بمعرفة الربوبیات کلاما هکذا : ان کانت النفس جرماً من الاجرام او من حیز الاجرام ، لکانت منقضیة سیالة لامحالة ، لانها یسیل سیلانا یصیر الاشیاء کلها الی الهیولی ، فاذا ردت الاشیاء کلها الی الهیولی ، ولم یکن للهیولی صورة تصورها و هی علتها ، بطل الکون ، فبطل العالم ایضاً اذا کان جرما محضا ، و هذا محال ، انتهی[٣٧] و قال فی موضع اخر منه : انه لایمکن ان یکون جرم من الاجرام ثابتاً قائما مبسوطا کان او مرکباً ، اذا کانت القوة النفسانیة غیر موجودة فیه ، و ذلك لان من طبیعة الجرم السیلان والفناء ، فلو کان العالم کله جرماً لانفس فیه ولاحیاة[٣٨] لبادت الاشیاء وهلکت ، و قال فی موضع اخر : ان الاشیاء العقلیة هی انیات حقیة ، لانها مبتدعة من العلة الاولی بغیر وسط ، و اما الاشیاء الحسیة ففی انیات داثرة ، لانها رسوم الانیات الحقة و مثالها ، و انما قوامها و دوامها بالکون والتناسل[٣٩] کی یبقی و یدوم تشبها بالاشیاء العقلیة الثابتة الدائمة[٤٠].

و هذا عباراته ، و هی ناصة علی ان الطبیعة الجسمانیة جوهر سیال عند هذا الفیلسوف ، والسر فی ذلك : ان النفس من الوجه الذی لها الی العقل تصیر صورة جمیعة الجسم ، حتی یکون موجوداً واحداً قائما بنفسه باقیاً فی زمان ، والافطبیعة الجسم بما هو جسم مما لایبقی زمانین ، ولا حضور له عند نفسه ، ولا لنفسه[٤١] فی حد واحد ، بل الکل مفقود عن الکل ، لاشتماله بحسب

٣٧ــ ان کانت النفس جرماً من خیر (ای الطبیعة) الاجرام کانت منتقضة سیالة لامحالة ، لانها تسیل سیلان الاجرام ، و تنتقض الی الهیولی ، فاذا انتقضت الاجرام کلها وقف الکون ، لانه تصیر الاشیاء کلها الی الهیولی ، فاذا ردت الاشیاء کلها الی الهیولی ولم یکن للهیولی مصور یصورها و هو علتها ، بطل الکون ، فاذا بطل الکون بطل هذا العالم ایضاً اذا کان جرمیا محضا ، و هذا محال . اثولوجیا

٣٨ــ ولاحیاة له . اثولوجیا

٣٩ــ بالکون التناسل ن ل

٤٠ــ ان الاشیاء العقلیة هی انیات خفیة ، لانها مبتدعة من الانیة الاولی بغیر توسط ، والاشیاء الحسیة هی انیات داثرة ، لانها رسوم الانیات الحقیة ومثالها ، و انما قوامها ودوامها بالکون والتناسل ، کما تبقی و تدوم ، شبهاً بالاشیاء العقلیة الثابتة الدائمة . اثولوجیا

٤١ــ نفسه ن ل

الزمان على قوة الوجود والعدم، وبحسب المكان على شايبة الحضور والغيبة، لكونه دايم الحدوث والتجدد، لازم التفارق والتباعد، وليس حكم الاجسام الاخروية والابدان النورية الجنانية هذا الحكم، لان وجودها وجود صورة جمعى محفوظ عن قبول القسمة الانفكاكية اوالوهمية، و صورتها علمية انشائية بحسب الجهات الفاعلية، لايحصل من جهة القوة والاستعداد، و تحريك الطبيعة للمواد، كل ذلك مما بيناه فى مقامة.

و مما يدل ايضاً على حدوث العالم الجسمانى و دثور الاجسام رأى زينون الاكبر، و هو من اعاظم الفلاسفة المتقدمين حيث قال: ان الموجودات اى الجسمانية، باقية داثرة، اما بقاؤها فبتجدد صورها، و اما دثورها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الصورة الاخرى، و ذكر ان الدثور قدلزم الصورة والهيولى انتهى.

و اثبات دثور كل من الهيولى والصورة مما يعرف بمعرفة كيفية التلازم بينهما على وجه التحقيق حسبما وقعت الاشارة اليه، و من اقواله الدالة على الحدوث ايضاً: ان المبدع الاول كان فى علمه صورة ابداع كل جوهر، و صورة دثور كل جوهر، فان علمه غير متناه، والصور فيه من حد الابداع غير متناهية، و كذلك، صور الدثور غير متناهية، فالعوالم يتجدد فى كل حين ودهر، ثم ذكر وجه التجدد بما نقلناه انفا.

اقول: و ليس مراده من عدم التناهى فى قوله: فان علمه غير متناه، والصورة التى فيه من حد الابداع غير متناه هوغير المتناهى بالفعل والعدد لاستحالته بالبرهان، و لهذا الفيلسوف برهان مخصوص على بطلان ذلك فى رسالة له نقله بعض افاضل المتأخرين فى تصانيفه، و تلك الرسالة موجودة عندنا، والبرهان هوالمسمى ببرهان الوسط والطرفين، بل المراد منه عدم التناهى بالقوة، كما فى المتصلات الجوهرية المتجددة شيئاً فشيئاً، او بالشدة كما فى الصور العقلية، و اما وجودها بحسب الترتيب والعدد فلا محالة ان صورها متناه.

و من ذلك قول افلاطن العظيم، وهو احد الاساطين الموصوفين بالحكمة والتوحيد، حيث يحكى عنه انه قال فى بعض سؤالاته عن طيماوس:

ما الشيء الكائن ولا وجودله ؟ و ما الشيء الموجود ولا كون له ؟ يعنى بالاول الزمان والزمانيات المتجددة الاكوان، لانه لم يؤهلها اسم الوجود، لما علمت انها ضعيفة الوجود متشابكة مشوبة بالعدم، و يعنى بالثانى الصور المفارقة التى هى وجودها فوق الكون والزمان والحركة و ما قبل الطبيعة المتجددة، و حقلها اسم الوجود، لكونها صورة علم الله باقية عنده، و قال ايضاً : ان للعالم صانعا مبدعا محدثا ازليا واجبا بذاته، عالما بجميع معلوماته على نعت الاسباب الكلية، كان فى الازل، ولم يكن فى الوجود رسم ولا طلل الامثال عند البارى، و قال ايضاً : و انما كانت هذه الصور عنده موجودة كلية دائمة باقية، لان كل مبدع ظهرت صورته فى حد الابداع، فكانت صورته فى علم الاول، والصورة عنده بلا نهاية، ولو لم يكن الصور مع ازليته فى علمه، لم يكن ليبقى، ولو لم يكن دائمة بدوامه، لكانت تدثر بدثور الهيولى، ولو كانت تدثر بدثور الهيولى، لما كان رجاء ولا خوف، ولكن لما كانت الصورة الحسية على رجاء و خوف، استدل به على بقائها، و انما يبقى اذا كانت صورة عقلية فى ذلك العالم، ترجوا اللحوق بها، و تخاف التخلف عنها، قال : و اذا اتفقت العقلاء على ان هاهنا فى الوجود حساً و محسوساً و عقلا و معقولا، و شاهدنا بالحس جميع المحسوسات، و هى محدودة محصورة بالزمان والمكان، فيكون لها مثل عقلية انتهى.

اقول : قد افادت هذه الكلمات منه اصولا حكمية حقة لطيفة، منها حدوث العالم الحسى بجميع جواهره و صوره و اعراضه، اذ قد صرح بان كل صورة متعلقة بالهيولى تدثر بدثور الهيولى، و ذلك لان الهيولى شأنها القوة والعدم، و ان الصورة شأنها التجدد والحدوث شيئا بعد شيء، ولهذا ادرج الزمان من المبادى كما هو المحكى عنه، و ذلك لان كل ما هو زمانى الوجود والتشخص، فلابد و ان يكون عدمه السابق مقوماً لوجوده اللاحق، و زوال سابقه موجباً لحدوث لاحقه، و من جعل العدم من المبادى كما هو المشهور من بعض القدماء، امكن ان يكون مراده ما ذكرناه.

و منها ان لكل صورة محسوسة صورة معقولة من نوعها هى وجودها فى علم الله، و هى المسماة بالمثل الافلاطونية والصور المفارقة، التى قد

عجزت العقلاء ، الذين جاؤا بعده ، عن ادراك هذه المثل النوريـة على وجهها ، و عن الاذعان بوجود صور هذه الطبايع مجردة عن المواد فی عالم الاله ، و نحن بفضل الله وجوده قد احيينا رسومه ، واحكمنا بنيان مـذهبه ورأيه ، وشيدنا اركانه ، و ذببنا عن ذلك ، وفككنا عقدة الاشكالات التی اوردها عليه كل من اتی بعده الی هذا الوقت ، تقربا الی الله و تشوقا الی دار كـرامته .

و منها الاشارة الی ان تـلك الحسيات راجعة الـی تلك العقليات الصورية ، صائرة اليها متصلة بها ، كاتصال حواسنا المتباينه بعقولنا ، مع ان احديها داثرة فانية ، والاخری باقية قائمة عندالله .

و منها ان تلك الصور العقلية هی بعينها صور علم الله ، لقوله : فكانت صورة فی علم الاول الی اخره ، فهی موجودة بوجوده عزوجـل ، دائمة بدوامه ، و ليست موجودات مستقلة منفردة عن الاول تعالـی ، ليلزم تعدد القدماء ، تعالی الله عن ذلك ، و ذلك لانها كما علمت مقهورة تحت كبرياء الاول ، مطموسة انوارها تحت سطوع نوره ، و لهذا المعنی ذكـر الشيخ اليونانی : ليس للمبدع الاول صورة ولاحلية ولاقوة ، لكنه فـوق كـل صورة وحلية و قوة ، و قال ايضاً ليس المبدع الحق شيئاً من الاشياء ، و هو جميع الاشياء ، لان الاشياء منه .

و من اولئك الاقدمين القائلين بحدوث العالم سقراط الحكيم ، العالم العارف الزاهد من اهل اثنيه[٤٢] وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغـورس و ارسلاوس ، واقتصر من اصنافها علی الالهيات والخلقيات ، واشتغل بالزهد و رياضة النفس و تهذيب الاخلاق ، واعرض عن متاع[٤٣] الدنيا وطيباتها ، واعتزل الی الجبل ، و نهی الرؤساء الذين كانوا فی زمانه عن الشرك و عبادة الاوثان ، فثوروا عليه الغاغة والجأوا ملكهم الی قتله ، فحبسه الملك و سقاه السم ، و قصته معروفة ، فمن اقواله الدالة علی حدوث العالم : ان علمه تعالی و حكمته وجوده و قدرته بلانهاية ، ولايبلغ العقل ان يصفها ، ولو وصفها لكانت متناهية ، فالزم عليك ان تقول : انها بلانهاية ولاغاية ، وقد تری

٤٢ـ امشية . رسالة الحدوث
٤٣ـ ملاذ . رسالة الحدوث

الموجودات متناهية فيقال : انما تناهيها بحسب احتمال القوابل ، لابحسب القدرة والحكمة والجود ، ولما كانت المادة لايحتمل صوراً بلانهاية ، فاقتضت الحكمة بقاء النوع باستبقاء الاشخاص ، و ذلك بتجدد امثالها ، استحفظ الشخص ببقاء النوع ، ويستبقى النوع ببقاء الاشخاص ، فلايبلغ القدرة الى حد النهاية ، ولا الحكمة وقفت على غاية[٤٤] انتهى كلامه .

اقول : انه دال على حدوث كل شخص جسمانى و ان كان فلكاً او كوكباً ، لان العلة مشتركة ، و هى عدم احتمال المادة الديمومة الشخصية ، فجميعها حادث شخصاً ، قابل للزوال والدثور من حيث هوياتها الشخصية ، و اما بقاؤها بالمعنى الماهية فليس ذلك بقاء بالعدد ، بل بالمفهوم والحد ، على ان الكلى الطبيعى ، اى الماهية من حيث هى غير موجودة عندنا ولامجعولة بالذات ، بل بتبعية الوجود الشخصى .

و اما ما حكى ارسطاطاليس فى مقالة الالف الكبرى من كتاب ما بعد الطبيعة ، ان افلاطن كان يختلف فى حداثته الى اقراطولس ، فكتب عنده ما روى عنه : ان جميع الاشياء المحسوسة فاسدة ، وان العلم لايحيط بها ، ثم اختلف بعده الى سقراط ، و كان من مذهبه طلب الحدود من دون النظر فى طبايع المحسوسات و غيرها ، فظن ان نظر سقراط فى غير الاشياء المحسوسة ، لان الحدود لايتناولها ، لانها انما يقع على الاشياء دائمة كلية ، فعند ذلك سمى افلاطن الاشياء الكلية صوراً ، لانها واحدة ، ورأى ان فى المحسوسات لايكون الا بمشاركة الصور، اذا كانت الصور رسوماً وخيالات، لانها متقدمة عليها ، انتهى . فليس ذلك بمناقض لما حكينا منه ، بل يؤيده كما بيناه فى رسالة الحدوث .

و من جملة القائلين بحدوث هذا العالم فيثاغورس ، وكان فى زمن سليمان عليه‌السلام ، قد اخذ الحكمة من معدن النبوة ، و بلغ فى الرياضة والتصفية الى ان سمع خفيف الفلك و وصل الى مقام الملك ، فنقل عنه انه قيل له : لم قلت بابطال العالم ، قال : لانه يبلغ العلة التى من اجلها كان ، فاذا بلغها سكنت حركته .

٤٤ـ تقف الى . رسالة الحدوث

اقول : هذا كلام وجيز فی غاية البلوغ والافاضة ، وكأنه مستفاد من معدن الوحی والنبوة ، فدل على حدوث العالم و زواله و نفاده و دثوره ، وكذا دل بوجازته على وقوع القيامة الكبرى ، كما ظهر من كلام انباذقلس كما ستعلم .

و من عظماء الحكمة و كبرائها انباذقلس ، وهو من الخمسة المشهورة من رؤساء اليونان ، قد نقلنا عنه فی الرسالة من كلماته الدالة على الحدوث ، و انما لم نوردها هاهنا ، لحاجتها الى شرح ذكرناه هناك ، لانطول الكلام بذكره هاهنا ، و مما قال فی امر المعاد : انه يبقى هذا العالم على الوجه الذی عهدناه من النفوس التی تشبثت بالطبايع ، والارواح التی تعلقت بالشبابك ، حتی يستغيث فی اخر الأمر الى النفس الكلية ، فيتضرع الى العقل ، و يتضرع العقل الى البارى ، فينسخ البارى على العقل ، و نسخ العقل على النفس ، و نسخ النفس على هذا العالم ، فيستضىء الانفس الجزئية ، و يشرق الارض والعالم بنور ربها ، حتی يعاين الجزئيات كلياتها ، فيتخلص من الشبكة ، فيتصل بكلياتها ، و يستقر فی عالمها مسرورة محبورة ، و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور[٤٥] انتهى .

و هذا الكلام منه دال على بطلان هذا العالم و دثوره و زواله ، اذ قد بين بالبرهان ان وجود الاجسام لايمكن بدون النفوس والارواح سيما الافلاك و ما فيها ، فافاد كلامه رجوع الخلايق كلها الى المبدأ الخلاق و وقوع القيامة الكبرى ، الموجبة لفناء الكل و بقاء الواحد القهار .

و من اولئك الاقدمين انكسيمانس الملطی ، المعروف بالحكمة ، المذكور بالخير ، نقل عنه انه كان يقول : ان هذا العالم يدثر و يدخله الفساد، من اجل انه سفل تلك العوالم و ثقلها ، و نسبته اليها نسبة القشر الى اللب ، و القشر يرمى ، انتهى كلامه ، و دلالته على الحدوث اظهر من ان يخفى ، و قد نقلنا فی رسالة الحدوث من كل واحد من اولئك العظماء الخمسة من اليونانيين ، و هم افلاطن و سقراط و فيثاغورس و انباذقلس واغاثاذيمون ، والثلاثة من الملطيين ، اعنی ثالس الملطی و انكساغورس و انكسيمايس ، و

٤٥ــ نور ٤٠

من غير هؤلاء كذيمقراطيس و زينون الاكبر و هرقل و اقاذاميا والشيخ اليونانى و ابرقلس ، المشهور عندالناس انه دهرى و فرفوريوس ، اقوالا و كلمات و تصريحات و تلميحات دالة على حدوث العالم و فنائه بما لامزيد عليه ، سيما ما نقل عن كلمات ارسطاطاليس ، فانه اشد مبالغة فى باب الحدوث من استاديه و معلميه ، لو ذكرناهاهنا جميع تلك الاقول مع ما ضمنا اليها من الشرح والتبيين والبسط والتنقيح ، لادى ذلك الى التطويل ، فمن اراد الاطلاع عليها ، فليرجع الى مطالعة تلك الرسالة .

فصل

فى ايراد مسلك اخر فى دعوى حدوث هذا العالم و دثوره، وهو من جهة اثبات الغايات للطبايع الواقعة فى الحركات

بيان ذلك : ان كل ناقص مركوز فى طبعه عشق العالى و طلب الاتصال اليه واللحوق به ، و لو لم يكن شأن الاشياء الطبيعية البلوغ الى غاياتها والوصول الى كمالاتها ، لكان ارتكاز الميل والطلب فى جبلاتها ، و استيلاء العشق والمحبة على بواطنها ، وانبعاث الحركة والسعى من طبايعها وغرايزها هباء و عبثاً و تعطيلا و لغواً و هدراً ، ولا معطل ولا عبث فى الوجود ، ولاجزاف ولا لغو فى الكون ، بل الوجود كله جد لا هزل فيه ، و حكمة لابطلان معها ، و ضرورة لاهزء فيها .

ثم لايخفى ان كل ما يوجد فى هذا العالم اما جسم او جسمانى ، و كل جسم و جسمانى يصحبه قصور و نقصان مفتقر الى تكميل وتتميم ، و عالم التمام عالم العقل ، و كل ذى طبيعة جسمانية فتمامه و كماله بالنفس ، وتمام النفس بالعقل ، فمالم يبلغ الهوية الطبيعية الى مقام العقل يكون ناقصا فى وسط السبيل و اثناء الحركة ، و هكذا الى ان بلغ الى مقام القرب و منزل الاخرة و دارالوصول ، كما قال الله عزوجل : افحسبتم انما خلقناكم عبثا و انكم الينا لاترجعون[٤٦] فمن هذا المسلك تحقق و تبين لدى العارف البصير : ان جميع الموجودات الدنيوية حادثة ، لانها زايلة ، وانما يكون

٤٦- مؤمنون ١١٥

زایلة لانها ناقصة، و کل ناقص یرجع الی کماله، ولو کانت کاملة لکانت عقلیة و لم تکن جسمیة، هذا خلف، فکل متحرك یشهد بدثوره و عبوره، و کل مشتاق ناقص ینادی بزوال وجوده وقصوره، لتناهی الاشواق والحرکات الی الغایات و الکمالات، و رجوع نقایص المعالیل و الامکانات الی تمام الفواعل و کمال العلات والعقلیات.

و قد مر تحقق الحرکة الجوهریة فی الموجودات العالمیة، و مما ینور ذلك و یؤکد ان کل نوع طبیعی من الاجسام لایخلو من مادة وصورة، والمادة جهة نقصه و الصورة جهة تمامه، والترکیب بینهما اتحادی، ثم ان ذلك النوع ناقصاً یحتاج الی کمال اخر بحسب الجبلة ولا یکفیه ذلك الکمال، لانه کمال مادته، وانما یکمل نفسه بکمال اخر یصیر متحداً به اتحاد المادة بالصورة، و کذا الکلام عاید اذا قیس هذا المجموع الی کمال اخر، لاجل نقصانه بالقیاس الیه واتحاده معه واستکماله به، و هکذا الی ان یبلغ الی صورة تمامیة عقلیة، لان الموجود التام منحصر فی العقل، و جمیع مادونه من الطبایع الجسمانیة ناقصة، و ما فوقه و هوالباری جل مجده هو فوق التمام، مثال ذلك الهیولی التی هی من انقص النقایص، و لذلك لایتحصل الا بصورة الجسمیة المقداریة، ثم الجسم البسیط العنصری لکونه من انقص المراتب بعد الهیولی یحتاج الی تکمیل، فابداً من شأن العناصر ان یحصل لها صورة کمالیة یستکمل بها و یتحد معها و تستهلك صورها فی تلك صور الکمالیة، والا لکان وجود تلك البسایط عبثا بلاغایة و غرض حقیقی اصلی، ثم کمالها الاول صور المعادن، فیخلع عنها عند لبس هذه الصور صورها السابقة کما هو المذهب الصحیح، و کذلك الجسم المعدنی، و ان کان فیه کمال الجسم العنصری، لکن فیه امکان الصورة النباتیة واستعدادها، و کذا النبات، فانه و ان کان تام النباتیة بحسب صورتها الکمالیة، لکنه ناقص الوجود الحیوانی الحسی، مفتقر الی تکمیل بوجود صورة یستکمل بها وجوده الحیوانی الحسی علی درجاتها و مراتبها.

و هکذا وجود الحیوان بما هو حیوان انمایتم بوجود صورة انسانیة، و اول مراتبها العقل العلمی، و هو یستکمل بالعقل النظری علی مراتبه،

فاولها : العقل الهيولانى ، الذى نسبتها الى الصور العقليات والجواهر المفارقة كلها ، نسبة الهيولى الاولى الى الصور الحسية و الجواهر المادية، و ثانيها العقل بالملكة ، و ثالثها العقل بالفعل ، و رابعها العقل المستفاد ، و بعد الجميع العقل الفعال ، والكل صائرة اليه متوجهة نحوه ، و نسبة كل ناقص الى كمال له او كامل يليه ، نسبة المادة الى الصورة فى اتحاده و انخراطه تحته ، و رجوعه اليه و صيرورته اياه ، فدل ما ذكرناه على ان كل ناقص جسمانى ، داثر زايل بايد عائد راجع من هذا العالم الى عالم الارواح، ثم الى عالم العقول ، ثم الى بارىء الكل الذى يرجع اليه الامور ، الا الى الله تصير الامور[٤٧]

لامعة مشرقية

قد تنور بيت قلبك باشراق شمس الحقيقة من سماء العقل ، الطالع انواره من افق البيان ، و امنت بان ادارة الافلاك و تسيير الكواكب و جريان العالم على ما هو به ، انما الغرض منه ان يكون خيراً كله و سعادة كله ، و ان وقع التعوق عن ذلك باسباب عرضية و موانع اتفاقية قدرية ، لكن الخير كله من الله برضاه وقضاه ، و الشر بقدره ، فالغرض فى اصل الابداع وجود البارى و فيضه ، وبلوغ الناقص الى كماله مقتضى فطرته و غريزته ،و بلوغ النفس الى درجة العقل سكونها و بلوغها حدالنهاية ، و عند ذلك يكون الراحة الدائمة والطمأنينة الكاملة ، و هذا هوالغرض الاقصى فى بناء هذا العالم الادنى، وادارة الافلاك وتسيير الكواكب وايجادها بالامر والملائكة، و احالة العناصر و المركبات و احياؤها بالنفوس و تكميلها بالوحى ، و انزال الكتب والرسل ، لان القصد فى ذلك هو ان يصير العالم كله خيراً ، فيزول منه الشر والنقص ، و يعود الى ما بدأ منه و رشح منه ، فيصير لاحقا به عايداً اليه ، فيتم الحكمة و يكمل الخلقة ، و يرتفع عالم الكون والفساد و يقوم القيامة الكبرى ، و يمحق الشر و اهله و ينقرض الكفر و حزبه ، و يبطل الباطل و يحق الحق بكلماته و اياته ، فهذا هوالغرض الاقصى والغاية

٤٧ــ شورى ٥٣

القصوی والقیامة العظمی والمعرفة الکبری، فاحفظ یا حبیبی ما القیناه الیك من هذا العلم المخزون والسر المکنون الذی لایمسه الا المطهرون.

فصل فیه سر حکمی

فی تلاشی الطبیعه و دثور الدنیا و زوالها و انقراض اهلها

اعلم ان اصل اللذات والانوار والمشتهیات والروایح البهیة والاشیاء الفاضلة کلها، الموجودة فی الطبیعة، انما یکون من افاضة النفس علیها باذن الله غیر ان الطبیعة قد شوشتها و کدرتها لما مازجتها بالجسمیة و اختلطت بها، و قداشرنا انفا الی ان اصل الوجود اذا تعلق بماهیة الجسم امتد و صار الواحد منه کثیراً بالقوة، والمتصل منه منفصلا بالجواز، بل وحدته عین استعداد الکثرة، و جمعیته تساوق التفرقة، و حضوره مشوب بالغیبة، فسمیت تلك الشوائب العدمیة شراً و وبالا، لکونها معوقة للخیرات، و حصلت من هذه السبب الاشیاء المتضادة المتخالفة بعضها لبعض، و انبعثت منها المحن والبلایا، والامور العارضة المنقصة للعیش، المولمة للطبع، والمکدرة للحیوة، المعذبة للنفس، مادامت هی موجودة فی عالم الکون والفساد، او فی بعض البرازخ السفلیة الاخرویة، و کل کمال ولذة فی هذا العالم فهو فی عالم اخر علی وجه اعلی واتم وابهی والذواصفی، فکیف یتوهم متوهم ان هذه اللذات موجودة فی المحل الناقص و معدومة فی المحل الفاضل، و لذلك قال: وما تعلم نفس ما اخفی لهم من قرة اعین جزاء بما کانوا یعملون[۴۸] و قوله: فیها ما تشتهیه الانفس و تلذ الاعین و انتم فیها خالدون[۴۹] و قوله: و ان الدار الاخرة لهی الحیوان لوکانوا یعلمون[۵۰] فاذا کانت الدار حیوانا، فما ظنك باهل الدار؟ فهذه معرفة الجنة و نعیمها علی الاجمال، و سیجیء بیانها بوجوه تفصیلیة عند تفسیر الایات المشیرة الیها.

فقد علمت ان کل شیء یرجع الی اصله، و کل ناقص یتوجه الی کماله و یعود الی ماله، فکل سعید ینقلب الی اهله مسرورا، و کل شقی یتعذب

۴۸ـ سجدة ۱۷ ۴۹ـ زخرف ۷۱
۵۰ـ عنکبوت ۶۴

مدة بشقاوته و يتعب محترقاً بناره ، و يتبدل عليه جلوده نضجا بعد نضج ، حتى يصل الى نعيمه اويصل الى قعر جحيمه ، فاما من طغى و اثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ، و اما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى[٥١] .

فصل فيه ذنابة

قد انكشف لك مما سردنا عليك واقمنا عندك برهانه ، ان الطبيعة الجسمية فلكية كانت او عنصرية يتلاشى و يضمحل شيئا فشيئا ، حتى يصير النفس غير محتاجة ولا مشتاقة اليها ، بل مستغنية عنها ، غير راضية فى الكون معها و لا المراجعة اليها ، لان كل نفس مجبولة فى محبة البقاء و الاستعلاء والتفاخر بالكون على اتم الحالات ، و هذا شىء مركوز فى جبلة كل نفس، فان كل واحد يشتهى ان يكون امير نوعه و سلطان بلده و رئيس اهله ، ولا يرضى بالخسة والهوان ، فاذن شوق النفس الى مقام العقل اكثر من شوقها الى مرتبة الطبيعة ، اذا لم يكن مريضة معوقة عن طلب الكمال ، خارجة عن الفطرة الاصلية ، و ذلك لان معالى الامور بالعقل اشبه ، و سفسافها و نقايصها و اكدارها بالطبيعة اشبه ، فالنفس مجتهدة دايماً فى طلب البقاء والتمام ، و هما كما علمت ليسا من صفات الطبيعة لتجددها ، لكنهما من صفات العقل ، فبهذا الاجتهاد و هذا الشوق اذا وصلت الى مقام العقل وصلت الى مرادها ، فتشبثت به و تخلت عن الطبيعة و ارتحلت عنها ، فاذا ارتحلت عن الطبيعة بطلت الطبيعة ودثرت، وبدثورها بطل الكون وخراب العالم، ولما كانت الطبيعة تحس بالفناء والاضمحلال ، صارت جذابة للنفس اليها متروقة[٥٢] فى عينها ، حايلة بينها و بين معالى الامور ، مخافة ان تبطل و تضمحل ، و هذا ايضاً حكمة و مصلحة من الله لان يسكن النفس اليها ، و اشتغلت بها برهة من الزمان لتدبير عالم الطبيعة ، تدبير الرجل زوجته و منزله ، الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا[٥٣] .

٥١ـ نازعات ٣٧ و ٣٨ ٥٢ـ كذا فى ن م ل و فى رسالة الحدوث ايضاً هكذا .
٥٣ـ انفال ٤٢

وهم وازاحة

فان رجعت و قلت : لم وجب الفناء والدثور ، و كيف لايلحق بمنزلة النفس كما يلحق النفس بمنزلة العقل .

قلت: قدمر مراراً ان النفس حيث كانت ذاجهتين، فهى من جهة ذاتها كأنها جوهر عقلى ثابت بالقوة ، و من جهة تعلقها بالطبيعة جوهر متجدد غير ثابت، و هاتان الجهتان يشبه ان يكون احديهما مقومة ذاتية للنفس ، والاخرى لاحقة لذاتها ، لكونها اضافة الى الطبيعة ، لان الانقص دائماً فرع للاكمل، والقوة قبل الضعف ، فاذا سقطت عنها هذه الاضافات رجعت الى منبعها الاصلى و حيزها العقلى .

و اما الطبيعة فهى سارية فى اقطار الهاوية ، نائية عن عالم البقاء والنور والوحدة ، متخلصة الى التجدد والانقضاء ، فهى لاهية عن الامور ، غير عارفة ولا مشتاقة اليها لبعدها عن عالم العقل ، فهى بما هى متجددة سائلة زائلة ، لايمكن لها اللحوق بعالم البقاء و بما فيها من الجهة العقلية النوعية ، فحكمها حكم ساير المعانى العقلية ، فالطبيعة بحسب هويتها الشخصية غير عارفة و لامشتاقة الى البقاء ، و ايضاً لايمكن بقاؤها الا بالنفس ، وقدعلمت ان النفس لاتدوم فيها ، بل يرتقى عنها و يخليها ، لانها محنة للنفس وعذاب، و انما اهبطت النفس اليها واسكنت لديها و بليت بها ، لنقصان و عصيان اعتريها فى مبدأ الوجود ، و خطيئة صدرت عنها فى اول الكون ، فاستوجبت بذلك موضع المحنة ، و مكان البلية لايبقى عند خروج المذنب من ذنبه، كما ان السجن اذا خرج المسجون عنه فلا حاجة اليه ، فلذلك وجب فى الحكمة الالهية والسنة الربانية زوال الطبيعة و تلاشيها و دثورها و فنائها ، فاذا خرجت النفس الى موطنها الاصلى ، و رجعت الى عند باريها ، رجعت الطبيعة الى عالم الدثور، هاوية الى الهاوية ، نائية الى نائية[٥٤] و انما تخاف النفس من الخروج من هذا الجنس الممتلى من المحنة والبلاء ، ولايأنس الى ذلك ، لانها استوحشت مخافة ان ينتقل الى ما هو شر منه ، و انما يطلب الموت الموقنون ، الذين علموا انهم ملاقوا ربهم و انهم اليه راجعون ،

٥٤ـ النائية ن م

فيتمنون الموت تشوقاً الى لقاءالله و دار كرامته ، لانهم يتولون الله ويحبونه كما فى قوله : ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين[۵۵] و اما الذين نسوا الله واليوم الاخر، فانساهم الشيطان ذكر ربهم، لاخلادهم الى ارض الطبيعة و ركونهم الى نشأة الدنيا و عالم الحس ، فما لهم كما حكى الله تعالى بقوله : يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور[۵۶] .

فاذن قد ثبت بالبرهان ان ذهاب الطبيعة و دثورها و زوالها و اضمحلالها امر واجب فى الحكمة ، و انها اذا استحالت و ذهبت تخلصت[۵۷] النفس ، ولخراب البيت ارتحلت ،كما فى قوله تعالى : اذا السماء انشقت و اذنت لربها وحقت و اذا الارض مدت ، والقت ما فيها و تخلت[۵۸] فان انشقاق السماء تعبير عن ذهاب طبيعتها عند ما رجعت نفسها الى باريها ، واذنت داعيها ، و هو مفاد قوله تعالى : يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى[۵۹] .

فصل

فيه تأييد و تشييد لهذا الاصل الذى هو من دعايم الاسلام واركان الدين

اعلم ان ما ذكرناه و اوضحناه من حدوث العالم الجسمانى بجميع ما فيه من السموات و غيرها ، هو بعينه مذهب اهل الحق من كل قوم من اهل الاديان السابقة والملل اللاحقة الحقة ، لان جميع السلاك الالهية و الموحدين لهم دين واحد ومسلك واحد فى الاركان والاصول الاعتقادية و احوال المبدأ والمعاد ، و فى ان رجوع الكل اليه سبحانه ، او لاترى ان اديان الانبياء كلهم والاولياء صلوات الله على نبينا و اله و عليهم و رحمته واحد، لاخلاف ينقل منهم بينهم و بين اتباعهم فى شىء من اصول المعارف الا ما يتعلق بالعمليات والسياسات المختلفة باختلاف الزمان ، و من لم يكن

۵۵ـ جمعه ۶
۵۶ـ ممتحنه ۱۳
۵۷ـ تحلف ن ل م
۵۸ـ انشقاق ۱ الى ۴
۵۹ـ فجر ۲۷ و ۳۰

دینه دین الانبیاء، فلیس من الحکمة فی شیء، ولایعد من الحکماء من لیس له قدم راسخ فی معرفة الحقایق، اذالحکیم من کان عارفا بالحقایق علی ما هی علیه بقدر الطاقة البشریة، اعنی احـوال المبدأ والمعاد وکیفیة الصنع و الایجاد و صدور الموجودات عنه تعالی وکیفیة رجوعها الیه، والاول یقال له علم التوحید و علم الالهیات، والثانی یقال له علم المعاد و علم النبوات، و هذه المعرفة بقسمیها هی الحکمة التی جائت فی الوحی الالهی الاشارة الی تعظیمها و توفیر اهلها: و من یؤت الحکمة فقد اوتی خیرا کثیرا[۶۰] وهی من اعظم المواهب والمنح، واجل العطایا و اشرف الذخایر والسعادات للنفس الانسانیة، و بها قیام العالم العلوی والسفلی، و ابتهاجـات جمیع الموجودات، ولا سعد من سعد من الناس الا بالحکمة، ولا شقی مـن شقی الا بجحودها، لانها ام الفضایل و افضل الوسایل و رأس العبادات و معدن الطاعات، و من اعظم البلاء والرزیة الاعراض عنها والجحود لها، کما قال: و من اعرض عن ذکری فان له معیشة ضنکا و نحشره یوم القیامة اعمی[۶۱] و قوله: کلاانهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون[۶۲] و قال: بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون[۶۳].

فاجهد یا حبیبی هداك الله طریق السعادة فی تحصیل ما اشارت الیه الانبیاء فی الکتب المنزلة من الملاء الاعلی، سیما هذا القران المنزل علی نبینا علیه و اله و علیهم السلام، وحث علیه الحکماء فی اسفارهم و صحفهم من المقاصد الشریفة والمسائل المکنونة عن غیر اهلیها و مستحقیها، لعلك تنال شیئاً مما نالوه، و تصل الی منزل و صلوه و حلوه.

واعلم ان الظن باعاظم الحکماء واساطینهم ممن شهدت افاضل کل عصر و زمان بتقدمهم و فضلهم، واتفقت اماثل کل طائفة علی زهدهم وصفاء ضمایرهم و طهارة قلوبهم بانخلاعهم عن الحس، و تجردهم عن الدنیا، و رجوعهم الی المأوی، و تشبههم بالمبادی، و تخلقهم باخلاق الباری، انهم متفقون علی اعتقاد حدوث العالم بجمیع جواهره و اعراضه و افـلاکه و

۶۰ـ بقره ۲۶۹
۶۱ـ طه ۱۲۴
۶۲ـ مطففین ۱۵
۶۳ـ مطففین ۱۴

املاكه و بسايطه و مركباته ، الا ان هذه المسألة لغموضها و شهوقها[٦٤] ودقة مسلكها ، لايمكن لغيرهم من الاتباع و ساير الباحثين والناظرين فى كتبهم تحقيقها و فهمها على وجه لا انحراف فيه ولا عدول ولاغلو ولا تقصير ، ولعمرى ان اصابة كنه الحق فى هذه المسألة و امثالها ممن التزم القواعد العقلية مع المحافظة على توحيد البارى وتنزيهه عن وصمة التغيير والتكثير من اعلى مراتب القوة النظرية ، فلا بأس بذكر تتمة من اقوال الحكماء الدالة على انهم اصابوا الحق فى هذه المسألة الايمانية من هذا السبيل ، اى من جهة ثبوت الغايات والتحول فى النشات .

فصل

فى تتمة اقوال الحكماء الذاهبين الى حدوث العالم

فمن اقوالهم ما قال انكسيمانس الملطى : و انما ثبات هذا العالم بقدر ما فيه من قليل نور ذلك العالم ، والا لما ثبت طرفة عين ، و يبقى ثباته الى ان يصفى العقل جزئه الممتزج به ، و يصفى النفس جزئها المختلط فيه ، فاذا صفى الجزأن ، عند ذلك دثرت اجزاء هذا العالم و فسدت و بقيت مظلمة ، و بقيت الانفس الدنسة الخبيثة فى هذه الظلمة لانورلها ولاسرور ولاراحة ولاسكون ولاسلوة ، وقد نقلنا انفا مثل هذا الكلام من انباذقلس.

و منها ما نقل عن فيثا غورس انه قيل له : لم قلت بابطال العالم ، قال: لانه يبلغ العلة التى من اجلها كان ، فاذا بلغها سكنت حركته ، و من كلماته الحكمية انه كان يقول : ان هذا العالم يشتمل على مقدار يسير من الحسن ، لكونه معلول الطبيعة ، و مافوقه من العوالم ابهى و اشرف و احسن من ان يصل الوصف الى عالم النفس والعقل ، فيقف فلا يمكن للنطق وصف ما فيه من الشرف والبهاء ، وليكن حرصكم واجتهادكم بذلك العالم ، حتى يكون بقاؤكم بعيداً من الفساد والدثور ، و تصيرون الى عالم هو حسن كله وسرور كله و عز كله و حق كله ، ويكون سروركم و لذتكم دائمة غير منقطعة .

اقول : كلامه صريح فى ان هذا العالم قابل للفساد و الزوال

٦٤ـ اى ارتفاعها

والاضمحلال ، و من الدلایل فی کلامه علی حدوث العالم انه کان جرینوس و زینون الشاعر متابعین له علی رأیه فی المبدع والمبدع ، و قالا : الباری ابدع النفس و العقل دفعة واحدة ، ثم ابتدع جمیع ما تحتهما بتوسطهما تدریجا ، و فی بدو ما ابدعهما لایموتان ، ولایجوز علیهما الفناء والدثور.

اقول : مرادهما حسبما یلزم من کلامهما ان هذا العالم قابل للدثور والفناء ، لانه تدریجی الحصول متجدد الحدوث شیئا فشیئا ، و اما العقل وکذا النفس بوجهما الذی یلی القدس ، فهما باقیان ببقاء الله او بابقاء الله، العقل ببقائه والنفس بابقائه فی الدار الاخرة والنشأة الثانیة لها ، و اما جهة النفس التی یلی الطبع والطبیعة فهی ایضا داثرة فانیة .

و منها ما وجدنا من کلمات الفیلسوف الاعظم ارسطاطالیس ، مما نقله صاحب کتاب الملل والنحل محمدبن عبدالکریم الشارستانی و هی دالة علی غیر ما هوالمشهور منه فی السنة الجمهور ، و غیر ما نقله ثامسطیوس واعتمده الشیخ بن سینا فی هذه المسألة ، فانه قال : الاشیاء المحمولة ، یعنی بها الصور الجسمانیة ، فلیس کون احدها من صاحبه ، بل یجب ان یکون بعد صاحبه ، فیتعاقبان علی المادة ، فقدبان ان الصورة تبطل و تدثر ، و اذا دثر معنی وجب ان یکون له بدو ، لان الدثور غایته و هو احدی الحاشیتین ، مادل علی ان جائیا جاء به ، فقد صح ان المکون حادث لامن شیء ، و ان الحامل لها غیر ممتنع الذات عن قبولها و حمله ایاها ، وهی ذات بدو و نهایة و غایة ، یدل علی ان حامله ذوبدو و غایة ، و انه حادث لا من شیء ، و یدل علی ان محدثه لابدؤ له ولا غایة ، لان الدثور اخر ، والاخر ما کان له اول ، فلوکانت الجواهر لم یزالا[٦٥] فغیر جایز، لان الاستحالة دثور الصورة التی بها کان الشیء[٦٦] و خروج الشیء من حد الی حد و من حال الی حال یوجب دثور الکیفیة ، و تردد المستحیل فی الکون والفساد یدل علی دثوره ، و حدوث احواله یدل علی ابتدائه ، و ابتداء جزئه یدل علی بدؤ کله، واوجب ان قبل بعض ما فی العالم قابلا للکون والفساد، ان یکون کل العالم قابلا له ، وکان له بدو یقبل الفساد ، واخر یستحیل الی

٦٥ـ فلوکانت الجواهر والصور لم یزالا ن ل ٦٦ـ الشی خرج من . ن ل

كون ، فالبدو والغاية يدلان على مبدع .

وذكر انه قد سأل بعض الدهرية ارسطاطاليس و قال : اذا كان المبدع لم يزل ولاشيء غيره ، ثم احدث العالم ، فلم احدثه ؟ فقال : لم غير جايزة عليه ، لان لم يقتضى العلية ، والعلية[٦٧] محمولة فيما هى علة عليه من معل[٦٨] فوقه ، و ليس المبدع بمركب فيحمل ذاته العلل ، فلم عنه منفية ، فانما فعل ما فعل لانه جواد ، فقيل : فيجب ان يكون فاعلا لم يزل ، لانه جواد لم يزل ، قال معنى لم يزل لااول له ، والفعل يقتضى اولا ، و اجتماع ان يكون ما لا اول له ، و ذو اول فى القول والذات محال متناقض ، قيل له : فهل يبطل هذا العالم ، قال : نعم ، قيل : فاذا ابطله بطل الجود ، قال : يبطله ليصوغه الصيغة التى لايحتمل الفساد .

اقول: ما احسن هذا الكلام المحكم المتين فى باب حدوث العالم، و كيفية ارتباطه بالمبدع من غير تغيير فى ذاته او ارادته او فى شيء من صفاته ، ما وجدت احدا من المعروفين بالحكمة والعقل بلغ فى تحقيق الصنع والاحداث الى هذا النصاب ، ولعله اخذ من معدن قوة النبوة و مشكوة نور الولاية .

ثم لايخفى عليك ان فى كلامه اشارات لطيفة و تحقيقات شريفة ، لعلها يفتقر الى التبيين[٦٩] لخفائها على اكثر الناظرين ، وقد ذكرنا شرح هذه الكلمات و بيان دقايقها و لطايفها و مواضع دلايلها على الحدوث فى تلك الرسالة ، المعمولة فى مسألة الحدوث ، فارجع اليها ان اردت الاطلاع على معنى كلامه ، و مما يدل ايضاً على ان هذا الفيلسوف يرى و يعتقد حدوث هذا العالم و دثوره ما قاله فى الميمر السابع من كتابه فى معرفة الربوبية[٧٠]

٦٧ـ والعلة ن م ل

٦٨ـ معلل (النسخة البدل)

٦٩ـ التبين ن م

٧٠ـ لما ذكرنا قبيل هذا ان كتاب اثولوجيا المعروف بمعرفة الربوبية من تصنيفات افلوطين الذى يعرف بالشيخ اليونانى وكان صاحب المكاشفة والخلسات العديدة ، و نسبته الى ارسطو منحول غير صحيح ،كما فطن به المصنف الكبير و قال بعد منها ما وجدنا من كلمات... و هى دالة على غير ما هو المشهور منه فى السنة الجمهور و غير ما نقله ثامسطيوس واعتمده الشيخ بن سينا فى هذه المسألة ،كانه ارتاب فى انتساب هذا الكتاب الى ارسطو .

و هو انه : لما قبلت الهيولى الصورة من النفس حدثت الطبيعة ثم صارت[٧١] الطبيعة قابلة للكون اضطراراً ، و انما صارت الطبيعة قابلة للكون لما جعل فيها من القوة النفسانية والعلل الغائية[٧٢] ثم وقف فعل العقل عند الطبيعة و مبدأ الكون، فالكون اخر العلل العقلية المتصورة ، و اول العلل المكونة ، ولم يكن يجب أن يقف العلل الفواعل المصورة للجواهر من قبل ان تأتى الطبيعة ، و انما كان ذلك كذلك من اجل العلة الاولى التى صير الانيات[٧٣] العقلية عللا فواعل ، مصورة للعرضية[٧٤] الواقعة تحت الكون والفساد ، فان العالم الحسى انما هو اشارة الى العالم العقلى والى ما فيه من الجواهر العقلية ، وثبات[٧٥] قواها العظيمة ، و فضايلها الكريمة ، و خيرها الذى يغلى غليانا و يفور فورانا ، انتهى كلامه .

اقول : شرح هذا الكلام و فوايده العلية[٧٦] و دلالته على حدوث العالم و دثوره على ابلغ وجه و اتمه مما ذكرناه و اوضحناه فى الرسالة فليطلب من هناك .

و من الفلاسفة القائلين بحدوث العالم زينون الاكبر ، و قد نقلنا منه قولا صريحاً فى هذا المقصد ، و قال ايضاً ان الشمس والقمر والكواكب تستمد القوة من جوهر السماء ، فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم ايضاً ، ثم هذه الصور كلها بقاؤها و دثورها فى علم البارى سبحانه ، والعلم يقتضى بقاؤها دائما و كذلك الحكمة ، والبارى قادر على ان يفنى العالم يوماً ان اراد ، انتهى كلامه .

اقول : مراده من جوهر السماء هو جوهرها العقلى وهو صورة ذاتها فى علم الله ، و هو وجهها الذى يلى الحق ، والتغير انما يلحق السماء بحسب وجهها الذى يلى المادة وهو الطبيعة، لانها فانية وهو باق، كما قال عزوجل: كل شيء هالك الاوجهه[٧٧] و قوله : ما عندكم ينفد و ما عندالله

٧١ـ صورت (اثولوجيا)
٧٢ـ العالية (اثولوجيا)
٧٣ـ الآنيات (اثولوجيا)
٧٤ـ للصور العرضية (اثولوجيا)
٧٥ـ و بيان (اثولوجيا)
٧٦ـ العقلية ن ل .
٧٧ـ قصص ٨٨

باق[۷۸] و مراده من الیوم فی قوله : والباری قادر علی ان یفنی العالم یوماً ، ان اراد هو یوم القیامة و مقداره خمسین الف سنة .

و قد مر من المقدمات والاصول الصحیحة مایستفاد بفوتها تفسیر کلامه و توضیح مرامه فی الحدوث ، ولا نعیدها حذرا من التطویل ، و یؤیدها ذکره هذا الحکیم ، ما قاله العارف النورانی والمکاشف الصمدانی الشیخ الکامل المکمل محی الدین العربی فی الفتوحات المکیة بعد کلام طویل، ذکره فی الباب السابع والستون و مأة : الوجود کله متحرك علی الدوام دنیا واخرة ، لان التکوین لایکون الامن مکون[۷۹] فمن الله توجهات دائمة و کلمات لاتنفد، وهو قوله : و ما عندالله باق[۸۰] فعندالله التوجه ، وهو قوله : اذا اردناه، و کلمة الحضرة و هی قوله : لکل شیء کن، بالمعنی الذی یلیق بجلاله ، و کن حرف وجودی فما یکون عنه الا الوجود ، لان العدم لایکون ، و الکون وجود ، و هذا التوجهات والکلمات خزائن الوجود[۸۱] لکل شیء یقبل الوجود ، قال : و ان من شیء الا عندنا خزائنه[۸۲] و هو ما ذکرناه ، و ما نزله الا بقدر معلوم .

اقول : تلك الخزائن هی الصور المفارقة والمثل العقلیة الموجودة عندالله لهذه الانواع الحسیة الطبیعیة ، فان لکل نوع طبیعی صورة مفارقة عن المواد کما راه افلاطن و من سبقه ، و وجودها فی هذا العالم بقدرةالله هو نزولها فی عالم التقدیر والمساحة من عالم التدبیر والحکمة ، ثم قال بعد کلام طوینا ذکره : فبالنظر الی اعیانها الخارجی ، موجودة عن عدم ، و بالنظر الی کونها عندالله فی هذه الخزائن ، ثم قال : و اما قوله : ما عندکم ینفذ ، صحیح[۸۳] فی العلم ، لان الخطاب هنالعین الجوهر ، و الذی عنده ای عندالجوهر من کل موجود ، انما یوجده[۸۴] فی محله من الصفات والاعراض والاکوان ، و هی فی الزمان الثانی اوفی المحل الثانی کیف شئت ، فقل

۷۸ـ نحل ۹۶
۷۹ـ عن سکون (فتوحات)
۸۰ـ نحل ۹۶
۸۱ـ فی خزائن الجود (فتوحات)
۸۲ـ حجر ۲۱
۸۳ـ فهو صحیح (فتوحات)
۸۴ـ ما یوجده الله فی محله من (فتوحات)

من زمان وجودها او حال وجودها تنعدم من عندنا ، و هو قوله : ما عندكم ینفد ، و هو یجدد للجوهر الامثال او الاضداد دائماً من هذه الخزائن ، و هذا معنی قول المتكلمین : العرض لایبقی زمانین ، و هو قول صحیح لاشبهة فیه ، لانه الذی علیه نعت الممكنات ، انتهی .

و من الفلاسفة القائلین بحدوث العالم ذیمقراطیس و شیعته ، الا ان له رموزات و تجوزات قل من اهتدی الیها واطلع علی مغزاها ، و علم فحواها ، و لهذا اشتهر منه اشیاء بظاهرها تناقض الاصول الحكمیة، مثل القول بالاتفاق والبخت ، وذكر بعض العلماء بعد توجیه هذا القول منه بوجه وجیه ، ان هذا الرجل ، یعنی به ذیمقراطیس ، تصفحنا كلامه القدر الذی وجدناه ، قد دل علی قوة سلوكه و ذوقه ، و مشاهدات له رفیعه قدسیة ، و اكثر ما نسب الیه افتراء محض ، بل القدماء لهم رموز والغاز ، و لهم فیها اغراض صحیحة، و من اتی بعدهم رد علی ظواهر رموزهم اما لغفلة او تعمد لما یطلب به من الریاسة ، فمن كلماته المرموزة انه قال : المبدع الاول لیس هو العنصر فقط ولا العقل فقط ، بل الاخلاط الاربعة و هی الاسطقسات اوایل الموجودات كلها ، و منه ابدعت الاشیاء البسیطة كلها دفعة واحدة ، و اما المركبة فانها كونت دائمة داثرة ، الا ان دیمومتها بالنوع ، ثم العالم بجملته غیر داثر ، لانه متصل بذلك العالم، كما ان عناصر هذه الاشیاء متصلة بلطیف ارواحها الساكنة والعناصر و ان كانت تدثر فی الظاهر فان صفوها[۸۵] من الروح البسیط الذی فیها غیر داثر ، فان كان كذلك ، فلیست تدثر الا من جهة الحواس، فاما من نحو العقل فانه لیس یدثر ، فلا یدثر هذا العالم اذا كان صفوها فیه، و صفوها متصل بالعوالم البسیطة .

اقول : فهم كلامه و درك مرامه یحتاج الی قریحة صافیة و ذهن ثابت، ولولا مخافة الاطناب لبینت صحة ما رامه من هذه الكلمات و لطفه ؛ و مع ذلك فكلامه صریح فی تجدد هذا العالم و دثور شخصیاته الحسیة و بقاء صفوها ، ای صورها العلمیة عندالله ، لانه اراد بالاشیاء البسیطة الصور العقلیة الثابتة ، و بالاشیاء المركبة الصور الجسمانیة فلكیة كانت او عنصریة.

۸۵ــ صفوتها ن م ل

و من الفلاسفة القائلين بحدوث العالم و خرابه فلاسفة اقاذاميا و انهم كانوا يقولون : ان كل مركب ينحل ، فلا يجوزان يكون من جوهرين متفقين فى جميع الجهات ، والا فليس بمركب ، فاذا كان هذا هكذا فلا محالة اذا انحل التركيب ، حل كل جوهر فاتصل بالاصل الذى منه كان ، فما كان منها بسيطا روحانيا لحق بعالمه ايضاً ، و كل جاس[٨٦] اذا انحل فانما يرجع حتى يصل الى الطف ، فاذا لم يبق من اللطافة شىء اتحد باللطيف الاول فيتحد به، فيكونان متحدين الى الابد ، و اذا اتحدت الاواخر بالاوايل كان الاول هو اول كل مبدع ليس بينه و بين مبدعه جوهر اخر متوسط ، فلا محالة ان ذلك المبدع الاول يتعلق بنور مبدعه ، فيبقى خالداً دهر الدهور ، أنتهى .

اقول : كلام هؤلاء الفلاسفة يشتمل على بيان مقصدين شريفين ، وهما اللذين اكثرنا ذكرهما و كررنا بحثهما .

احدهما دثور العالم الجسمانى و دثور صورته و نفود مادته ، و عودها الى الفساد والاضمحلال .

و ثانيهما اتصال ما صفى و نقى من الصور الحسية الى الصور العقلية، و رجوع ما صفى و نقى منها الى العلة الاولى الالهية ، والكل عايدة اليه راجعة صائرة اياها ، متحدة بوجهه الباقى عندالله ، رجوع النقص الى التمام ، و مصير الفرع الى الاصل ، كما قال : كل الينا راجعون[٨٧] و قوله : الا الى الله تصير الامور[٨٨] .

و من الحكماء المبرزين المشهورين بالفضل و البراعة أسكندر الافروديسى ، و هو من كبار اصحاب ارسطاطاليس رأيا و علماً ، و كلامه امتن و مقالته احكم ، و من كلامه الدال على حدوث ماسوى المحددالجهات والحركات انه قال : لما كان الفلك المحدد محيطا بما دونه ، فكان الزمان جارياً عليه ، لان الزمان هوالعاد للحركات ، اى عددها ، و لما لم يكن يحيط به شىء اخر ، والا لكان الزمان جارياً عليه لم يجزان يفسد و يكون، فلم يكن قابلا للكون والفساد ، و ما لا يقبل الكون والفساد كان قديماً .

٨٦ــ جميع النسخ هكذا ، والظاهر جاش بمعنى الغليظ والخشن

٨٧ــ انبياء ٩٣ — ٨٨ــ شورى ٥٣

اقول : هذا الكلام ناص فی ان كل ما يكون تحت الدهر و الزمان فهو من الكوائن الفواسد ، ولاشبهة فی ان جميع الاجرام الفلكية والعنصرية مما يجری عليه الزمان ، لانها مادية فيها جهة القوة والاستعداد ، فيكون قابلا للكون والاستحالة والحركة ، فحينئذ ان ثبت ان المحيط بالجميع جسم له قوة التغير والحركة والزمان جار عليه ، فله لامحالة صورة متجددة كائنة فاسدة ، و ان لم يكن كذلك فيكون قوة عقلية ، و يكون احاطتها بالسماء ليست احاطة مكانية وضعية ، بـل احاطة معنوية ، كاحاطة النفس بالبدن ، والعلة فلم يكن فی ذاتها من عالم الشهادة و الحس ، فكان من جمله ما فی علم الله و عالم غيبه .

و من الحكماء المتألهين الراسخين فی الحكمة فرفوريوس صاحب المشائين ، وهو عندی من اعظم اصحاب ارسطاطاليس ، و اهدی القوم الی اشاراته و غوامض علومه ، و من تلك الغوامض القول باتحاد العقل والمعقول ، وكون العقل كل الموجودات ، و جميع ماذهب اليه فی علم النفس و كيفية المعاد و الرجوع مما له وجه وجيه ، و قد اوضحنا سبيله و بينا دليله فی كتبنا العقلية ، سيما فی الشواهد الربوبية و فی المبدأ والمعاد والاسفار الاربعة[٨٩] قال فی هذه المسألة : ان المكونات كلها انما يتكون بتكون الصورة علی سبيل التغير ، و تفسد بخلوها الصورة ، و قال : كل ما كان واحدا بسيطا ففعله واحد بسيط ، و ما كان كثيراً مركبا فافعاله كثيرة مركبة ، و كل موجود ففعله مثل طبيعته ، ففعل بذاته واحد بسيط ، و ما يفعلها من افاعيله بمتوسط فمركب ، و قال ايضاً : كلما كان موجوداً فله فعل مطابق لطبيعته، و لما كان الباری موجوداً ، ففعله الخاص الواحد[٩٠] هو الاجتلاب الی شبيهه،

٨٩ـ هذا صريح فی ان تصنيفه قدس سره هذا الكتاب ، ای المفاتيح الغيب يكون بعدكتبه الثلاثة المشهورة ، التی هی الاصول لفلسفته الاعلی و برهانه الاقوی ، والمفاتيح جـامع لجميع تلك الكتب لمن تدبر و يخوض فی تياره ، و صنف وقد مضی من عمره ستون سنة ،كما قال فبيل هذا و علی هذا قدكان عام تصنيفه سنة ١٠٤٠ وقد توفی قدس سره سنة ١٠٥٠ والف التفاسير فی سنة ١٠٣٠ كماكتب بخطه الشريف فی ختام كتبه التفسيريه .

٩٠ـ الواحد ن ل

يعنى الوجود، ففى كلامه دلالة على حدوث الطبيعة الجسمانية تصريحاً و تلميحا، اما الاول فحيث قال: ان المكونات كلها انما يتكون بتكون الصورة على سبيل التغير، و تفسد بخلوها عنه، و اما الثانى فقوله: كل موجود ففعله مثل طبيعته، ولا شبهة فى ان الطبيعة فى كل جسم هى مبدأ حركته الذاتية، و الحركة امر دائم التجدد والحدوث، فكذا مبدأها القريب الذاتى، فيكون كل جسم طبيعى حادثا زايلا كائنا فاسداً.

و من الفلاسفة المعتبرين المشهورين ابرقلس، المنسوب الى افلاطن، والعجب انه قد اشتهر فيمابين القوم ان القول بقدم العالم بين الفلاسفة انما نشأ من ايراد ابرقلس فى تصنيفه تلك الشبهات التسع المشهورة، ولولا مخافة الاطناب لاوردتها واحدة واحدة، و بينت وجه التفصى عن كل منها، بحيث لايبقى لاحد مجال الشك بسببها، على ان لكل منها محملا صحيحاً و وجهاً وجيهاً يصار اليه، و لهذا نقل الشارستانى عن بعض المتعصبين لابرقلس عذراً فى ايراده تلك الشبهات بما ذكرناه فى الرسالة.

فمن كلماته الدالة على حدوث العالم قوله: لما اتصلت العوالم بعضها ببعض، وحدثت القوى الطبيعية، حدثت فيها قشور و استعلت لبوب، فالقشور داثرة واللبوب دائمة لا يجوز عليها الفساد، لانها بسيطة وحيدة القوى، فانقسم العالم عالمين، عالم الصفوة واللب، و عالم الكدرة والقشور، فاتصل بعضه ببعض، و كان اخر هذا العالم من بدو ذلك العالم، فمن وجه لم يكن بينهما فرق، فلم يكن هذا العالم داثرا اذا كان متصلا بما لم[٩١] يدثر، و من وجه دثرت القشور و زالت الكدر، و كيف يكون القشور غير داثرة ولا مضمحلة، و ما لم يزل القشور باقية كانت اللبوب خافية، و ايضاً فان هذا العالم مركب والعالم الاعلى بسيط، و كل بسيط باق دائما غير مضمحل ولا متغير، انتهى كلامه.

قال المتعصب لابرقلس: هذا الذى نقل عنه هو المقبول عن مثله، و الذى اضاف اليه القول الاول لا يخلو من امرين، اما ان لم يقف على مرامه للعلة التى ذكرناه سابقا، و اما لانه كان محسوداً عند اهل زمانه،

٩١- ليس ن م

لکونه بسیط الفکر واسع النظر سایر القوة، و کانوا اولئك اصحاب أوهام و خیالات، والدلیل علی صحة ما ذکره هذا المتعصب له، الذاب عنه، ان ابرقلس قال فی موضع من کتابه: ان الاوایل التی منها تکونت العوالم، باقیة لا تدثر ولا تضمحل، و هی لازمة للدهر ماسکة، الاانها من اول واحد لا یوصف بصفة ولا یدرك بنعت و نطق، و ان صور الاشیاء کلها منه و تحته، و هو الغایة والمنتهی التی لیس فوقها جوهر هو اعظم منها الا الاول الواحد، و هو الاحد الذی قوته اخرجت هذه الاوایل، و قدرته ابدعت هذه المبادی، و قال ایضاً: ان هذا العالم قد اضمحلت قشوره و ذهب دنسه و صار بسیطا روحانیا، و بقی ما فیه من الجواهر الصافیة النورانیة فی حد المراتب الروحانیة مثل العالم العلویة، و بقی فیه جوهر کله قشر و دنس و خبث انتهی.

اقول: قد انکشف و تبین من هذه الکلمات ان مذهب هذا الرجل المعروف بین الناس بانه دهری هو بعینه مذهب افلاطن و من تقدمه فی حدوث العالم و خرابه و بواره و بقاء العالم الربوبی، الا انه لما کان اتصال اواخر هذا العالم باوایل ذلك العالم اتصال المعلول المفاض علیه بعلته، و اتصال ذی الغایة بغایته، و لحوق الناقص بتمامه، و ذلك العالم الربوبی باق ببقاء الله، دایم بدوامه، لانه عالم علمه و قضائه و عالم صفاته و اسمائه، حکم احیانا بازلیة هذا العالم، و بقائه کبقاء البدن الشخصی ببقاء روحه و ان تبدل البدن فی کل حین، فقوله: بدهر هذا العالم، لیس یعنی به ان الصور الطبیعیة للافلاك و للکواکب و غیرها ازلیة، بل عنی به ان صورها العقلیة البسیطة الموجودة عندالله غیر داثرة بدثور هذه الحسیات، و ذلك لان الدثور یقتضی غایة و مرجعا غیر داثر، کما ان الحدوث یستدعی مبدأ و فاعلا غیر حادث، لامتناع ان یکون لکل غایة الی لانهایة، وان یکون لکل مبدأ مبدأ لا الی بدایة، ففی الطرفین لابدان ینتهی الاشیاء المتجددة الی امر لابدایة له و لانهایة، و اما السوابق واللواحق الزمانیة فهی کما بین لیست عللا ذاتیة، والسوابق معدات و لیست مباد ذاتیة، و کذا اللواحق هی لیست غایات ذاتیة بل عرضیة، کما بین فی الکتب العقلیة.

فاذن مرجع قول هذا القائل العالم قدیم علی ما بین، ان الصانع له

قديم ، وهو المبدأ الذى منه بدؤ كل باد ، والمعاد الذى اليه عود كل عائد ، فما ذكر قول حق و رأى صواب ، بشرط ان يعرف قائله و يحقق بان الصور العقلية التى هى بواطن هذه الصور الطبيعية الحسية ، ليست موجودات مباينة تباين وجودها وجود الحق الاول ، كيلا يلزم تعدد القدماء ، تعالى الله عن ذلك ، ولا حالة فى ذات الاول ليلزم التكثر فى صفاته ، ولا انها متحدة به ، تعالى عنه ، ليلزم انقلاب له من الوجوب الى الامكان ، اولها من الامكان الى الوجوب ، فالكل مستحيل ، بل الواجب واجب ابداً و سرمداً والممكن ممكن دائما ، والحق حق فى الازل والباطل باطل ، و ذلك مذهب اهل الاذواق والمواجيد و اهل الراسخين فى العلم والتوحيد ، و غيره مذهب الاباطيل و اهل التعطيل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم[٩٢] .

تذييل فيه تكميل

قال العارف المحقق والمكاشف المحق ، فى باب السابع والستون و ثلثمأة ، فى مكاشفة وقعت له فيها مخاطبة مع روح ادريس النبى عليه السلام كلاما بهذه العبارة : قلت : انى رأيت فى واقعتى شخصا بالطواف اخبرنى انه من اجدادى و سمى لى نفسه ، فسألته عن زمان موته ، فقال : اربعون الف سنة ، فسألته عن ادم لما تقرر عندنا فى التاريخ من مدته ، فقال من اى ادم تسأل ؟ عن ادم الاقرب ! فقال ادريس صدق اننى نبى الله ، ولا ادرى[٩٣] للعالم مدة نقف عليها بجملتها ، الا انه بالجملة لم يزل خالقا ، و لا يزال دنيا و اخرة والاجال فى المخلوق بانتهاء المدد لا فى الخلق ، فالخلق مع الانفاس يتجدد ، فما اعلمناه علمناه ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، فقلت : فما بقى لظهور الساعة ، فقال : اقتربت الساعة[٩٤] اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون[٩٥] فقلت : عرفنى بشرط من شروط اقترابها ، فقال : وجود ادم من

٩٢ـ جمعه ٤

٩٣ـ لى صدق انى نبى الله ، ولا اعلم للعالم (فتوحات)

٩٤ـ هذه الاية ليست فى الفتوحات (قمر ١)
٩٥ـ انبياء ١

شروط الساعة ، فقلت فهل كان قبل الدنيا دار غيرها ، قال : دار الوجود واحدة ، والدار ماكانت دنيا ولاآخرة الابكم ، والاخرة ما تميزت الابكم[٩٦] و انما الامر فى الاجسام اكوان و استحالات واتيان و ذهاب ولم يزل ولايزال .

ختامة مسكية

و لنختم الكلام بذكر انوار قرانية مشيرة الى اثبات الغاية ، و تحقيق الانقراض والنهاية للدنيا و ما فيها ، و بقاء ما عندالله و ما فى علم‌الله من الحقايق المتأصلة والاحكام الالهية والقضايا الازلية ، فمن ذلك قوله : انما مثل الحيوة الدنيا ، كماء انزلناه من‌السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس و الانعام ، الى قوله فجعلناه حصيداً كان لم تغن بالامس ، كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون[٩٧] و منه قوله : متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم[٩٨] و قوله : متاع فى‌الدنيا ثم الينا مرجعهم[٩٩] و قوله : هنالك تبلو كل نفس مااسلفت وردوا الى‌الله موليهم الحق وضل عنهم‌ما كانوا يفترون[١٠٠] و قوله : هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده .... فانى تؤفكون[١٠١] و قوله : لكل امة أجل ، اذا جاء اجلهم فلايستأخرون ساعة ولا يستقدمون[١٠٢] و ذلك لان نسبة القيامة الكبرى و هى فناء جميع الخلايق و قيامها عندالله، الى القيامةالصغرى وهى موت كل احد، كنسبة الولادة الكبرى الى الولادة الصغرى، فكما ان‌لكل نفس‌اجل‌مسمى ولادة وموتا، كذلك‌لكل امة، فكذلك للكل موعد واجل معلوم‌عندالله، وقوله: ما من‌دابة‌الاهو اخذ بناصيتها[١٠٣] اى بصورتها العلمية‌الموجودة عندالرب‌المدبر لجسميتها، المحرك اياها للمشى على‌سبيل‌ربه، ان‌ربى‌على‌صراط‌مستقيم، وقوله: وان‌من‌قرية‌الانحن‌مهلكوها

٩٦ـ دنيا الابكم ، والاخرة ما تميزت عنها الابكم (فتوحات)

٩٧ـ يونس ٢٤ — ٩٨ـ يونس ٢٣

٩٩ـ يونس ٧٠ — ١٠٠ـ يونس ٣٠

١٠١ـ يونس ٣٤ — ١٠٢ـ يونس ٤٩

١٠٣ـ هود ٥٦

قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديداً كان ذلك فى‌الكتاب مسطورا[١٠٤].
و قوله فى سورة مريم : انا نحن نرث الارض و من عليها والينا يرجعون[١٠٥] لانبعاث النفوس و الارواح من الابدان الحاصلة منها ، المعدلة المسواة عند تمام الخلقة ، و عودها الى الاخرة و رجوعها الى الله الواحد القهار ، و قوله : ان كل من فى‌السموات والارض الا اتى الرحمن عبداً ، لقد احصيهم وعدهم عدا[١٠٦] اى انفاسهم وازمنتهم المعدة لهم الى المصير، و كلهم‌اتيه يوم‌القيامة فرداً[١٠٧] اى‌فى‌القيامة‌الصغرى‌فرداً مجرداً عن‌العلايق البدنية ، والقوى الطبيعية ، و فى القيامة الكبرى فرداً عن الانية الغيرية فانياً فى‌الاحدية الذاتية ، و قوله فى سورة طه : و يسألونك عن‌الجبال ، فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً و لا امتا[١٠٨] و قوله فى سورة الانبياء : كل نفس ذائقة الموت و نبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون[١٠٩] و قوله : يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ، كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين[١١٠] لاخراج الحقايق عن ملابسها الكونية، و اطلاقها عن قيودها بازالة تعيناتها الطبيعية ولواحقها المادية ، و قوله فى سورة الحج : يا ايهاالناس ان كنتم فى ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب ، الايات ، الى قوله : و ان‌الله يبعث من فى‌القبور[١١١].
و من اكتحل عينه بنور الايمان و تنور قلبه بسطوع ايات القران ، يجد اعيان العالم دائما متبدلة ، و تعيناتها المترادفة مترايلة ، خلقا من بعد خلق و طوراً بعد طور سايرة سايلة الى طريق الاخرة ، متوجهة الى‌الله راجعة اليه، وقوله فى‌سورة‌المؤمنين: هوالذى ذرأكم فى‌الارض واليه تحشرون[١١٢] و قوله : افحسبتم انما خلقناكم عبثا و انكم الينا لاترجعون[١١٣] فان هذه الحسبان منشأه غطاء على‌البصيرة والفكرة ، يوجب الجهل بان لكل خلق

١٠٤ــ اسراء ٥٨
١٠٥ــ مريم ٤٠
١٠٦ــ مريم ٩٣ و ٩٤
١٠٧ــ مريم ٩٥
١٠٨ــ طه ١٠٥
١٠٩ــ انبياء ٣٥
١١٠ــ انبياء ١٠٤
١١١ــ حج ٥
١١٢ــ مؤمنون ٧٩
١١٣ــ مؤمنون ١١٥

فایدة ، ولکل طبیعة غایة ، ولکل اجل کتابا ، ولولم یکن للطبایع الکونیة غایات حقیقیة ، لکان وجودها عبثاً وهباء و معطلا ، والتعطیل محال ، فلکل نقص کمال ، ولکماله کمال اخر بعد زواله ، و هکذا الی ان یصل الی کمال لازوال له ، اذ لاکمال فوقه ، و قوله فی النور : ولله ملك السموات والارض والی الله المصیر[١١٤] لان الکل متوجهة الیه ، و قوله فی النمل : و یوم ینفخ فی الصور ففزع من فی السموات و من فی الارض[١١٥] بصعقة الفناء والقهر الکلی ، الا من شاء الله ، من الذین احیوا بحیوته و اماتوا بعد صعقة الفناء ، و کل اتوه داخرین ، ساقطین عن درجة الحیوة والوجود، متحققین بالعبودیة التامة کالملائکة المقربین .

و قوله فی العنکبوت والیه ترجعون[١١٦] و قوله اولم یروا کیف یبدیء الله الخلق ثم یعیده ان ذلك علی الله یسیر[١١٧] قل سیروا فی الارض فانظروا کیف بدأ الخلق ثم الله ینشیء النشأة الاخرة[١١٨] بعد انخلاعه من کسوة الانانیة و تحققه بالوجود الحقانی الباقی ببقاء الحق سبحانه ، ان الله علی کل شیء قدیر، و قوله فیه: یعذب من یشاء ویرحم من یشاء والیه تقلبون[١١٩] و قوله : کل نفس ذائقة الموت ثم الینا ترجعون[١٢٠] و قوله : و ما هذه الحیوة الدنیا الا لهوو لعب و ان الدار الاخرة لهی الحیوان لو کانوا یعلمون[١٢١] و قوله فی الروم : ما خلق الله السموات والارض و ما بینهما الا بالحق[١٢٢] ای بما عندالله من حقایقها ، و اجل مسمی ، لان وجودها الطبیعی متجدد زمانی مؤجل باجل مسمی ، و مقدر بقدر معلوم ، و قوله فیه : الله یبدؤا الخلق ثم یعیده[١٢٣] ای فی عالم الخلق والتقدیر، ثم یعیده الی عالم القیامة عندالله، ثم الیه یرجعون ، بفناء الکل ، و قوله ایضاً من ایاته ان تقوم السماء والارض بامره[١٢٤] لان قوامها بمبادیها و صورها العقلیة ، ثم اذا دعاکم دعوة من

١١٤ــ نور ٤٢
١١٥ــ نمل ٨٧
١١٦ــ عنکبوت ١٧
١١٧ــ عنکبوت ١٩
١١٨ــ عنکبوت ٢٠
١١٩ــ عنکبوت ٢١
١٢٠ــ عنکبوت ٥٧
١٢١ــ عنکبوت ٦٤
١٢٢ــ روم ٨
١٢٣ــ روم ١١
١٢٤ــ روم ٢٥

الارض ، بانقطاع الاجال و نفادها ، اذا انتم تخرجون ، وله من فی‌السماوات والارض[۱۲۵] ای هویاتها المفارقة عن‌المواد ، حاضرة عندالله ، کل‌له قانتون ، بالعبودیة التامة والرجوع الذاتی والانخراط الوجودی ، و قوله فیه : و هوالذی یبدؤا الخلق ثم یعیده[۱۲۶] فی سلسلتی البدو والرجوع ، و هو اهون علیه ، لان الرجوع الی‌الفطرة الاصلیة انسب من‌الخروج عنها ، وله المثل الاعلی فی‌السموات والارض لان کل ذی روح و نفس و جسم یتحقق فیه مثال البدو والاعادة ، ولکنه هوالعزیزالحکیم الذی لیس کمثله شیء[۱۲۷] قال : و ما خلقکم ولا بعثکم الاکنفس واحدة[۱۲۸] .

و قوله فی لقمان : و سخرالشمس والقمر کل یجری الی اجل مسمی[۱۲۹] و ذلک لان محرک الافلاک و مجری الکواکب لابدان یکون له غرض ، لان محرکها و مدبرها[۱۳۰] و مجری سفینتها و مرسیها فاعل حکیم مختار قادر علیم، والفاعل المختار اذا بلغ غرضه فی فعله و تحریکه ما یحرکه ، فلا محالة سبیله ان یمسک عن فعله ، فمحرک الافلاک و مجری الکواکب سبیله ان یمسک عن تحریکها و ادارتها و یقطع من‌الفعل والعمل ، و اذا امسک محرک الافلاک عن‌التحریک ، و مسخر الکواکب عن الاجراء ، وقفت الافلاک عن الدوران والکواکب عن‌الجریان فی‌البروج ، و بطل ترتیب الزمان و فعل الکون والفساد و الحرث والنسل ، و انتقل الامر الی النشأة الاخرة ،کما قال یدبرالامر من السماء الی الارض[۱۳۱] فی ابتداء النشأة الاولی ، ثم یعرج الیه فی الحرکة الرجوعیة فی یوم کان مقداره الف سنة مما تعدون ، هذا مقدار یوم‌الفصل .

و اما مقدار یوم‌الجمع و یوم رجوع الکل الیه فی‌القیامة العظمی فکما قال: تعرج‌الملائکة والروح الیه فی‌یوم کان مقداره خمسین الف‌سنة[۱۳۲] و قوله فی السجدة : بل‌هم بلقاء ربهم کافرون[۱۳۳] قل یتوفیکم ملک الموت

۱۲۵ــ روم ۲۶
۱۲۶ــ روم ۲۷
۱۲۷ــ شوری ۱۱
۱۲۸ــ لقمان ۲۸
۱۲۹ــ لقمان ۲۹
۱۳۰ــ مدبرها ن ل
۱۳۱ــ سجده ۵
۱۳۲ــ معارج ۴
۱۳۳ــ سجده ۱۰

الذى و كل بكم ثم الى ربكم ترجعون[١٣٤] بارتفاع الحجب الخلقية ، و ظهور الحقايق عن مكامنها و ملابسها الحسية و قيودها المادية ، وقوله فى الزمر: خلق السموات والارض بالحق ، اى بواسطة حقايقها الموجودة الثابتة فى علم الله بحسب مقتضى الاسماء ، و ربوبيتها لمربوباتها العقلية قبل الحسية ، يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل و سخر الشمس والقمر، اى صورتهما[١٣٥] الحسية ، كل يجرى فى عالم الحركة والتسخير ، لاجل مسمى، فى عالم التدبير و بحسب الاسماء المقتضية لها ، الا هو العزيز الغفار[١٣٦] فى عالمى الامر والخلق ، لانه يعطى العزة للعقليات و يغفر الذنوب الجرميات ، و قوله فيه ايضاً ، ماقدروا الله حق قدره[١٣٧] حيث لم يعلموا ارتفاع قدره عن عالم المفارقات فضلا عن عالم الاجسام والامكنة ، فشبهوه و نسبوه الى المثل والنظير والصاحبة والولد ، كاليهود حيث قالوا : عزير ابن الله[١٣٨] وكالنصارى حيث قالوا : ان الله ثالث ثلاثة[١٣٩] والارض جميعا قبضته يوم القيامة[١٤٠] لا فى هذا اليوم ، لانها مبسوطة فيه ، وكذا السموات مطويات بيمينه[١٤١] لابشماله ، لان شماله عالم الجحيم واهله اهل الدنيا ، و يمين الله عالم القدس و اهله من اهل الجنة والنعيم .

وانما وقع طى السماء وقبض الارض فى يوم القيامة لا فى يوم الدنيا ، لان يوم الدنيا يوم بسطت فيه الارض و نشرت فيه ساير الاجسام ، و كانت الارواح والنفوس فيه مطوية مقبوضة مكمونة ، و هى بخلاف ذلك فى يوم الاخرة ، حيث تكون الامر فيه بالعكس فيكون صحائف النفوس والارواح فيه منشورة مكشوفة ، والاجرام مدروسة ، كما قال : و اذا الصحف نشرت[١٤٢] و قال : كل انسان الزمناه طائره فى عنقه و نخرج له يوم القيامة كتابا يلقيه منشورا[١٤٣] و قال : ثم اذا شاء انشره[١٤٤] و قوله فيه : و نفخ فى الصور ، اى

١٣٤ــ سجده ١١
١٣٥ــ صورتها ن م ل
١٣٦ــ زمر ٥
١٣٧ــ زمر ٦٧
١٣٨ــ توبه ٣٠
١٣٩ــ مائده ٧٣
١٤٠ــ زمر ٦٧
١٤١ــ زمر ٦٧
١٤٢ــ تكوير ١٠
١٤٣ــ اسراء ١٣
١٤٤ــ عبس ٢٢

صور الاشياء فى عالم القضاء الحتمى ، فصعق من فى السموات و من فى الارض، لدثور وجودها التجددى ، و زوال صورها المادية ، و انقلاب نشأتها الحسية الى العقلية ، و تبدل نشأتها الاولى الى الثانية ، فناء نشأتها الثانية الى الاخرة فى القيامة الكبرى عند ظهور الوحدة التامة ، الا من شاء الله ، و هو الموجود فى عالم علمه و مشيته و غيبه ، اوالذين سبقت لهم القيامة الكبرى ، ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون ، لتحققها بالوجود الحقانى بدلا عن وجودها الناقص الامكانى، واشرقت الارض ، اى ارض الاخرة، و هى النفوس القابلة لفيضان النورالعقلى الالهى على ذواتها و عقولها الهيولانية ، اذ[١٤٥] ذات النفس الكلية المعبر عنها بالكرسى ، كما عبر عن العقل الكلى بعرش الرحمن ،كما ورد فى الخبر : ارض الجنة الكرسى و سقفها عرش الرحمن ، فكما ان العقل موضع استواء الرحمن ، فالنفس كالكرسى موضع استواء العلم والعقل ولهذا يقال : للعلماء الكراسى ، تسمية الحال باسم المحل ، و وضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون[١٤٦] لان ذلك العالم دار كشف الحقايق ، والحاكم فيه الحق ، والوسايط والمقومات هناك ذاتية ، و ليس هناك الحجب والموانع والاسباب القسرية والعرضية ، ولا ايضاً يتشابك فيه النور بالظلمة والحق بالباطل كالدنيا ، و قوله فى حم السجدة : ثم استوى الى السماء[١٤٧] بالتكميل والتنوير وهى دخان قابل للاشتعال بالشعل الملكوتية من عالم العقل النورى، فقال لها و للارض ائتيا طوعاً اوكرهاً ، اتياناً غريزياً و توجهاً طبيعياً الى الله .

اما السماء فبحسب فطرتها الاولى ، لكونها ذات نفس و عقل أبتداء ، و اما الارض فبعد استكمالاتها بالصور المستفادة فى الفطرة الثانية ، و بعدها الى ان انتهت الى الصورة الكاملة البالغة حدالعقل المستفاد ، فصارلها طوعاً ما كان لها كرها ، ولذلك قالتا اتينا طائعين ، و انما اتى بصيغة الجمع لذوى العقول ، لحصول العقول المستفادة الكثيرة عند الاتيان الى الله ، بالحركة

١٤٥ــ او ن ل ١٤٦ــ زمر ٦٨ و ٦٩
١٤٧ــ فصلت ١١

الاستکمالیة الجوهریة ، و من ایاته انك تری الارض خاشعة فاذا انزلنا علیها الماء اهتزت و ربت[۱۴۸] فقس علی احیاء الارض بعد موتها بالماء ، واهتزازها بالنشو والنماء ، احیاء النفوس الانسانیة التی هی ارض الحقایق بعد موتها للجهالة ، وانغمارها فی قبر الطبیعة و حفرة البدن بماء حیوان العلم ، و تنویرها بنور المعرفة الموجبة لنشوها فی ارض الاخرة ، و مشیها فی عالم النور ، کما قال : او من کان میتا فاحییناه و جعلنا له نوراً یمشی به فی الناس کمن مثله فی الظلمات لیس بخارج منها[۱۴۹] ولذا قال : ان الذی احیاها لمحی الموتی[۱۵۰] ای النفوس الانسانیة المیتة بموت البدن قبل خروجها من القوة الی الفعل بحسب العلم والعقل ، او مطلق النفوس ، سواء کانت من الانسان او من غیره من انواع الافلاك والعناصر ، اذ ما من موجود طبیعی الا ولـه نشأة ثانیة حیوانیة ، وله فیها وجود علی ضرب اخر ، لکن حشر افراد الانسان بحسب هویاتها ، و حشر غیرها بحسب نوعیتها[۱۵۱] و قوله فی الشوری : الله یجمع بیننا والیه المصیر[۱۵۲] .

و قوله فی الزخرف : و انا الی ربنا لمنقلبون[۱۵۳] بعد تطورنا بالاطوار الکونیة و النشات الوجودیة بالجذبات الالهیة ، و قوله فیه : تبارك الذی له ملك السموات والارض وما بینهما[۱۵۴] بحسب وجوهها الباقیة الغیر الهالکة، فکل شیء هالك الا وجهه[۱۵۵] و عنده علم الساعة و الیه ترجعون[۱۵۶] و علم الساعة حیث معلومها ، و قوله فی الدخان : ان یوم الفصل میقاتهم اجمعین[۱۵۷] و قوله فی سورة محمد : والله یعلم متقلبکم و مثویکم[۱۵۸] و قـوله فی ق : و استمع یوم یناد المناد من مکان قریب یوم یسمون الصیحة بالحق ذلـك

۱۴۸ــ فصلت ۳۹ ۱۴۹ــ انعام ۱۲۲

۱۵۰ــ فصلت ۳۹

۱۵۱ــ اعلم ان حشر افراد الانسان التی بحسب هویاتها ، یقال لها عود المجاورة ، و حشر غیرها التی بحسب نوعیتها یقال لها عود الممازجة ،کذلك اصطلحوا العرفاء الالهیین .

۱۵۲ــ شوری ۱۵ ۱۵۳ــ زخرف ۱۴

۱۵۴ــ زخرف ۸۵ ۱۵۵ــ قصص ۸۸

۱۵۶ــ زخرف ۸۵ ۱۵۷ــ دخان ۴۰

۱۵۸ــ محمد ۱۹

يوم الخروج ، انا نحن نحيي و نميت ، اى نحيي الارواح و نميت الاجساد ، والينا المصير ، يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير[١٥٩] وقوله فى الطور : يوم تمور السماء موراً و تسير الجبال سيرا[١٦٠] لاجل تجدد الطبيعة وسيلانها ، و توجهها الى الاخرة و خروجها الى ما عندالله ، و قوله فى القمر : انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر[١٦١] و قوله انا كل شيء خلقناه بقدر ، و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر[١٦٢] و قوله فى الرحمن : يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن[١٦٣] اشارة الى تجدد طبايع الفلكيات والنعصريات ، و قوله : سنفرغ لكم ايها الثقلان[١٦٤] لانكما من المبعوثين يوم الحشر فى النشأة الثانية دون غير كما من الحيوان والنبات ، و قوله : فاذا انشقت السماء[١٦٥] كانشقاق الحبة بالنبات و انفلاق النطفة بالحيوان ، فكانت وردة كالدهان ، و قوله فى الواقعة : اذا وقعت الواقعة ، لانها واجبة الوقوع ، ليس لوقعتها كاذبة خافضة للقشور الدنسة الى مهوى البوار ، رافعة للبوب الى دار الكرامة و منزل الابرار ، اذا رجت الارض رجا و بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا[١٦٦] .

و قوله حكاية عن الجاحدين للحشر ، بناء على شبهتهم : بان الابدان الفانية عددها غير متناهية ، اذا اجتمعت اوجب اجتماعها وجود بعد غير متناه وهو محال ، وحشر بعضها دون بعض ترجيح من غير مرجح ، وكانوا يقولون : ائذامتنا وكنا ترابا و عظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون[١٦٧] .

فاجاب عن هذه الشبهة و اوضحها بقوله : قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم[١٦٨] و ذلك لان يوم الاخرة و زمانها ليس من قبيل هذه الايام والازمنة ، والنشأة الثانية لاتزاحم فى اجسامها الاخروية ، لكونها اشباح الارواح واظلالها ، كما لاتزاحم فى الصور المراتية ، و قوله

١٥٩ـ ق ٤١ الى ٤٤
١٦٠ـ طور ٩
١٦١ـ قمر ٣١
١٦٢ـ قمر ٤٩ و ٥٠
١٦٣ـ رحمن ٢٩
١٦٤ـ رحمن ٣١
١٦٥ـ رحمن ٣٧
١٦٦ـ واقعه ١ الى ٥
١٦٧ـ واقعه ٣٧ و ٣٨
١٦٨ـ واقعه ٤٧ و ٤٨

فى‌الحديد : اعلموا ان‌الله يحيى‌الارض[١٦٩] بالارواح المحشورة الى‌الله ، بعد موتها ، و زوالها من صورة الى صورة ، و قوله : يــوم يجمعكم ليوم الجمع[١٧٠] لان بعد هذا اليوم الداثر الفانى يومان اخران ، احدهما يــوم جمع‌الاجساد الاخروية و نفوسها ، والاخــر يــوم جمع الارواح العقلية ، والاول فيه حصة من‌الجمع و حصة من‌الفرق ، و هوكيوم‌الفصل بالقياس الى‌الاخر ، اذ فيه تلك‌الجميعة الالهية ، كما قال مشيرا اليه : ذلك يوم‌الفصل جمعناكم والاولين[١٧١] .

و قوله فى الحاقة : فاذا نفخ فى‌الصور نفخة واحدة[١٧٢] بالقياس الى قدرةالله و افاضته ، و هى نفخات كثيرة بالقياس الى القوابل المسواة للنفخ الصورى، وحملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة، فيومئذ وقعت‌الواقعة، و انشقت السماء فهى يومئذ واهية[١٧٣] لان وجودات هذه‌الصور الحسية فى عالم الحقيقة مدروسة باطلة ، كبطلان الظلمة عندالنور، والثلج والجمد عند الحرور ، والملك على ارجائها[١٧٤] و عند نهاياته القريبة من عالم الملكوت الاعلى ، و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية[١٧٥] اربعة منها من ارباب الانواع للبسايط العنصرية ، واربعة اخرى من تلك الارباب المحاذية لها من صف الاعلى ، المتعلقة باربع جمل من‌الفلكيات .

و قوله فى سورة المعارج : تعرج الملائكة والروح اليه فى يــوم كان مقداره خمسين الف سنة[١٧٦] هذا هواليوم الالهى الذى هو من ايام‌الله العلى بالذات ، و هى ايام السنة السرمدية من ابتداء الازل الى انتهاء الابد، يشتمل على سبعة اسبوع ، وكل اسبوع سبعة ايام من ايام الرب ، كــل يوم الف سنة بحسب سيرالكواكب السبعة ، لكل منها الف سنة بالانفراد ، و ستة الف سنة بالاشتراك مع الكواكب الستة الباقية ، فمدة هذا الادوار الكوكبية بحسب ضرب سبعة فى مثلها ، يصير تسعة و اربعين الف سنة مع كبايسها و

١٦٩ـ حديد ١٧
١٧٠ـ تغابن ٩
١٧١ـ مرسلات ٣٨
١٧٢ـ حاقه ١٣
١٧٣ـ حاقه ١٤ و ١٥ و ١٦
١٧٤ـ حاقه ١٧
١٧٥ـ حاقه ١٨
١٧٦ـ معارج ٤

كسورها ، فالكل خمسين الف ، و فى كل اسبوع يوم واحد هو يوم الجمعة ، فيه قيام الخلق عندالله بواسطة ترقى الاستعدادات و ظهور الكمالات والدرجات الانسانية ، المؤدية بهم الى الحشر والنشر ، لكن القيامة العظمى هى التى وقعت فى اليوم الاخر المحمدى فى الجمعة الاخيرة لاخر الاسابيع ، كما فى قوله صلى الله عليه و اله : بعثت انا والساعة كهاتين ، وقد قرب الموعد وازفت الازفة[١٧٧] فقد جاء اشراطها[١٧٨] انهم يرونه بعيدا و نراه قريباً[١٧٩] يوم تكون السماء كالمهل و تكون الجبال كالعهن[١٨٠] مع كون السموات سبعاً شداداً[١٨١] مالها من فروج[١٨٢] وكون الجبال راسيات شامخات قويات ، الا انها مستحيلات داثرات الوجود ، سيالة كاينة فاسدة ، متوجهة نحو الدار الاخرة ، منقلبة الى مثويها .

و قوله فى النوح : والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها و يخرجكم اخراجا[١٨٣] و قوله فى القيامة فاذا برق البصر و خسف القمر[١٨٤] لكون البصر والقمر داثرين مظلمين فى ذلك العالم ، و جمع الشمس والقمر[١٨٥] فيه لكونه يوم الجمع كما مر ، و فى المرسلات : انما توعدون لواقع ، فاذا النجوم طمست و اذا السماء فرجت و اذا الجبال نسفت و اذا الرسل اقتت[١٨٦] فان الدنيا والاخرة نشأتان متخالفتان متضادتان ، فالاشياء الحسية متصفة هناك باضداد ما هى متصفة به هاهنا ، فالنجوم المضيئة هاهنا ، مطموسة الاضواء هناك ، والسماء الشديدة البنيان هاهنا ، منفرجة ذات ابواب و فروج و خلل هناك ، والجبال كثيب مهيل ، ساير مع قسوتها و سكونها ، و على هذا القياس غيرها ، و قوله : هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين[١٨٧] .

و قوله فى النبأ : و يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجاً[١٨٨] و كل فوج من الانسان يحشر على صورة اعمالهم و نياتهم ، كما بين فى موضعه ،

١٧٧ـ نجم ٥٧
١٧٨ـ محمد ١٨
١٧٩ـ معارج ٦
١٨٠ـ معارج ٨
١٨١ـ نبأ ١٢
١٨٢ـ ق ٦
١٨٣ـ نوح ٧ و ٨
١٨٤ـ قيامه ٧ و ٨
١٨٥ـ قيامه٩
١٨٦ـ مرسلات ٧ الى ١١
١٨٧ـ مرسلات ٣٨
١٨٨ـ نبأ ١٨

و فتحت السماء بمفاتیح الرحمة والافاضة ، و هی الحقایق العقلیة والصور المفارقة ، و فتحها رفع حجبها بوقوع القیامة و ظهور الحقایق ، فکانت ابوابا[١٨٩] للخروج الی دارالقدس ، والنفوذ فیها بسلطان القوة العقلیه ، کما قال تعالی : فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان[١٩٠] و سیرت‌الجبال فکانت سرابا[١٩١] و قوله فی‌النازعات : فانما هی زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة[١٩٢] و قوله فی عبس : فاذا جائت الصاخة ، یوم یفرالمرء من اخیه و امه وابیه و صاحبته و بنیه ، لکل امریء منهم یومئذ شأن یغنیه[١٩٣] .

و قوله فی‌التکویر : اذا الشمس کورت[١٩٤] ای زالت ، من کورت العمامة اذا لفها ، ای یلف ضوئها ، فیذهب انبساطه و انتشاره فی‌الافاق ، و هی عبارة عن ازالتها و الذهاب بها ، لانها مادامت باقیة کان ضیاؤها منبسطاً غیرملفوف ، و اذا النجوم انکدرت[١٩٥] ای زالت کما مر ، و اذا الجبال سیرت و اذا العشار عطلت[١٩٦] اذ لاحشرلها ، و اذا الوحوش حشرت[١٩٧] و هی النفوس الانسانیة المصورة فی‌الاخرة بصورة الوحوش لغلبة اخلاق الوحوش علیها ، قوله : و اذا البحار سجرت[١٩٨] باشتعال نارالطبیعة واستیلاء قهرالقوة الواجبیة علیها ، و علی سایرالمواد السفلیة بالاحالة الی مالاجله ، و قوله : و اذا الصحف نشرت واذا السماء کشطت واذا الجحیم سعرت[١٩٩] فان ذلك الیوم یوم بروز الحقایق و کمون الاجساد ، و هویوم ظهور انوار الارواح و خفاء ظلام الاشباح ، فصحایف النفوس فیه منشورة ، و صورة السماء منسلخة عن حقیقتها المجردة ، و طبیعة الجحیم مسعرة لبروز نیراناتها الکامنة الیوم ، و قوله فی‌الانفطار : اذا السماء انفطرت و اذا الکواکب انتثرت و اذا البحار فجرت[٢٠٠] و قوله فی‌الانشقاق : اذا السماء انشقت و اذنت لربها و حقت[٢٠١] اجابت دعوة الحق یوم الخروج ، و تحققت بحقیقتها الموجودة عندالله ، و قوله فی الزلزال :

١٨٩ـ نبأ ١٩
١٩٠ـ رحمن ٣٣
١٩١ـ نبأ ٢٠
١٩٢ـ نازعات ١٣ و ١٤
١٩٣ـ عبس ٣٣ الی ٣٧
١٩٤ـ تکویر ١
١٩٥ تا ١٩٨ـ تکویر ٢ الی ٦
١٩٩ـ تکویر ١٠ الی ١٢
٢٠٠ـ انفطار ١ الی ٣
٢٠١ـ انشقاق ١ و ٢

اذا زلزلت الارض زلزالها و اخرجت الارض اثقالها[٢٠٢] و قوله فى القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث و تكون الجبال كالعهن المنفوش[٢٠٣].

فهذه الايات و غيرها مما تركنا ذكرها مخافة التطويل، مشيرة الى زوال هذا العالم و دثور صورها الحسية و نفادها و فنائها و محو اثارها يوم القيامة، لانه يوم ظهور حقايقها و بروز مكامنها و اعلان اسرارها و سرايرها، و نشر صحايف نفوسها و كشف بواطنها و ضمايرها على رؤس الجمع، و ذلك يوم خروجها عن مقابرها، وهى مقادير تكونها التدريجى، و مدة حركاتها الاستكمالية فى دارالدنيا، التى هى مقبرة ما فى علم الله من صور الاكوان الحادثة الموجودة سابقاً ولاحقا فى علمه تعالى، اى قبل الورود فى مقابر الدنيا بموتها الجسمانى، و بعد الخروج عند انقضاء مدة مكثها الدنيوى، فلكل من الروح والجسد والقلب والقالب قبر حقيقى.

اما قبور القوالب والاجساد فكما علمت و هى مقادير تكوناتها التدريجية، و اما قبر الارواح والقلوب فالى مأوى النفوس ومرجع الارواح عند ظهور القيامة العظمى و صعق من فى السماء والارض و فنائها الكلى، كما قال: والى الله ترجع الامور[٢٠٤] انا لله و انا اليه راجعون[٢٠٥].

و اما الايات الدالة على ان العالم الربوبى والصقع الالهى، المشتمل على حقايق الاشياء و صورها العلمية الموجودة عند الله، باق دائم لم يزل ولايزال، و الا لزم زوال علمه و هو محال فكثيرة ايضاً، منها قوله فى الانعام: و عنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو[٢٠٦] اشارة الى الصور المفارقة الالهية الموجودة عند الله، وهى غير عالمة بذاتها ولا يعلمها غير الله، اما عند المشائين واتباعهم كابى على و غيره، فلكونها اعراضا قائمة بذات الاول تعالى، و اما عند افلاطن والرواقيين، فلعدم التفاتها الى ذواتها النورية، و فنائها فى الله بالعبودية التامة، و بقائها ببقائه، و تحققها بالوجود الحقانى.

و قوله: لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض[٢٠٧] و قوله

٢٠٢ـ زلزال ١ و ٢
٢٠٣ـ قارعه ٤ و ٥
٢٠٤ـ فاطر ٤
٢٠٥ـ بقره ١٥٦
٢٠٦ـ انعام ٥٩
٢٠٧ـ سبا ٣

ایضاً : و ما یعزب عن ربك من مثقال ذرة[٢٠٨] و قوله : لاتبدیل لکلمات‌الله[٢٠٩] و قوله : و ان من شیء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم[٢١٠] فخزائن وجودالاشیاء هی اصول حقایقها العقلیة الموجودة عندالله أزلا و ابداً، ولکل منها وجود مقدر فی عالم التقدیر والمساحة، ونسبة تلك العقلیات الی صورها الحسیة التی فی‌المواد الخارجة ،کنسبة معلوماتنا المحفوظة فی خزائن الحافظة من‌المعانی‌الکلیة‌الثابتة، الی‌وجودها الکتبی‌المقدرالمؤجل بمقدار معین و زمان محدود ، و قوله فی‌سورة هود : ولله غیب السموات والارض والیه یرجع الامر کله[٢١١] و قوله فی‌النمل : و ما من غائبة فی‌السماء والارض الا فی کتاب مبین[٢١٢] و فی القصص : له الحمد فی الاولی والاخرة و له‌الحکم والیه ترجعون[٢١٣] و قوله : و نزعنا من کل امة شهیدا[٢١٤] و فی‌یس : ان کل لما جمیع لدینا محضرون[٢١٥] و فی حمعسق : و یمح‌الله الباطل و یحق‌الحق بکلماته انه علیم بذات الصدور[٢١٦] و فی‌الطور : ام عندهم خزائن ربك ام هم‌المسیطرون[٢١٧] و قوله فی النجم : فلله الاخرة والاولی[٢١٨] و لله ما فی‌السموات و ما فی الارض[٢١٩] و قوله : و ان علیه النشأة الاخری[٢٢٠] و قوله فی القمر : وکل شیء فعلوه فی الزبر وکل صغیر و کبیر مستطر[٢٢١] و قوله فی النبأ : یوم یقوم الروح والملائکة صفا لا یتکلمون الا من اذن له الرحمن و قال صوابا ، ذلك الیوم الحق[٢٢٢] و قوله فی النازعات : یسألونك عن الساعة ایان مرسیها ، فیم انت من ذکریها الی ربك منتهاها[٢٢٣] و فی یس : فسبحان الذی بیده ملکوت کل شیء والیه ترجعون[٢٢٤] و فی اللیل : و ان

٢٠٨ــ یونس ٦١
٢٠٩ــ یونس ٦٤
٢١٠ــ حجر ٢١
٢١١ــ هود ١٢٣
٢١٢ــ نمل ٧٥
٢١٣ــ قصص ٧٠
٢١٤ــ قصص ٧٥
٢١٥ــ یس ٣٢
٢١٦ــ شوری ٢٤
٢١٧ــ طور ٣٧
٢١٨ــ نجم ٢٥
٢١٩ــ نجم ٣١
٢٢٠ــ نجم ٤٧
٢٢١ــ قمر ٥٢ و ٥٣
٢٢٢ــ نبأ ٣٨
٢٢٣ــ نازعات ٤٢ الی ٤٤
٢٢٤ــ یس ٨٣

لنا للاخرة والاولى[٢٢٥] و فى العلق : و ان الى ربك الرجعى[٢٢٦] الى غير ذلك من الايات الدالة على وجود الاشياء بحسب حقايقها الاصلية عندالله ، و عود الروح الكلى و مظاهره اليه تعالى عند القيامة الكبرى ، و تحقق الغايات و حصول الاغراض الكلية و اخذ الثمرات ، و ذلك بارتفاع الحجب الكونية، و ظهور كل شىء على صورته الحقيقية ، و تمييز الحق فيها عن الباطل، لكونه يوم الفصل والقضاء ، كما قال : كل شىء هالك الا وجهه[٢٢٧] و يبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام[٢٢٨] لزوال التعينات الخلقية والتشخصات الكونية ، و فناء وجه العبودية فى وجه الربوبية ، كانعدام القطرات عند الوصول الى البحر ، و ذوبان الجمد بطلوع شمس الحقيقة عند ظهور دولة حكم المرتبة الاحدية الوجودية ، و انقضاء دول احكام الاسماء و اعيانها و مقتضياتها المتكثرة و مربوباتها المتجددة .

و جاء فى الخبر الصحيح : ان الحق سبحانه يميت جميع الموجودات حتى الملائكة و ملك الموت ايضاً ، ثم يعيدها للفصل والقضاء ، لينزل كل منزله[٢٢٩] من الجنة والنار ، وكما ان وجود التعينات الخلقية انما يكون بالتجليات الذاتية الالهية فى مراتب الكثرة، وسريان نورالوجودعلى قوابلها الكونية ، فكذلك زوالها بالتجليات الذاتية فى مراتب الوحدة ، و يتحقق الذات الاحدية فى تعيناتها العقلية النورية و شئونها الواجبية ، والاسماء المقتضية لها الواحد القهار الفرد الاحد الصمد ، والغنى العزيز المعيد المنشىء المحيى المميت .

٢٢٥ـ ليل ١٣
٢٢٦ـ علق ٨
٢٢٧ـ قصص ٨٨
٢٢٨ـ رحمن ٢٧
٢٢٩ـ منزلته ن م ل

المفتاح الثالث عشر

فى اثبات العالم الروحانى و دار النفوس البشرية و فيه مشاهد :

المشهد الاول

اعلم ان اثبات هذا العالم من اعظم المطالب القرانية ، لانه عالم الميعاد و مرجع نفوس العباد ، سيما الطاهرات الزاكيات من عقولنا و ارواحنا ، كما اشارت اليه عبارة القران بقوله : اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه[1] فان الكلمة فى لسان القران عبارة عن الروح الناطقة ، كما قال فى حق عيسى روح الله : و كلمته القيها الى مريم[2] و فى قوله : ما نفدت كلمات الله[3] اى الجواهر الناطقة ، فالطيبات من النفوس للطيبين ، وهم العقول العليون ، و اما الانفس الخبيثة المغموسة فى بحر الطبيعة المنحوسة[4] فهى وان كانت بحسب الاصل و سنخ النوع من عالم الملكوت ، الا انها بحسب الانغماس فى بحر الطبيعة مطموسة اعينها ، منكوسة رؤسها ، محبوسة ارواحها ، حيث طمست وحبست مكبوسة[5] اشباحها ، اينما علقت مغلقة ابوابها عن عالم الجنان ، غير مفتوحة منافذها الا على ابواب سجون النيران ، فان الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات[6] ولو لم يكن عالم الارواح والعقول موجوداً ، لم يكن للاجسام والطبايع غاية و نهاية و رجعى و منتهى ، لست اقول لفاعل الماهيات

١ــ فاطر ١٠
٢ــ نساء ١٧١
٣ــ لقمان ٢٧
٤ــ المحبوسة ن ل
٥ــ اى مضغوطة و مشدودة
٦ــ نور ٢٦

و جاعل النور والظلمات غاية فى فعله ، كلا بل هو غاية الغايات بلاغاية ، ونهاية النهايات بلانهاية، بل الغاية انما هى لماسواه من ذوى الفقر والحاجة، المفتقر فى البلوغ اليه الى الوسايط والوسايل ، فلكل من المبادى المتوسطة غاية فى فعله ، به يستكمل و يتوسل اليه تعالى و يحصل لنفسه زلفى لديه ، و هكذا الى ان ينال روح الوصال ، و ينجو من الم الفراق والـوبـال ، والهبوط فى مهوى النقيصة والامكان ، و هيولى الافة والخسران .

فالغاية فى كل شىء هو ايصاله الى الكمال اللايق بحاله ، ولو لم يخلق هذا العالم الجسمانى الفسيح والفلك الدوار المسيح ، الا لامر عظيم خطير اعظم من هذا المحسوس المدروس الحقير النقير، لقصر رداء [7] الجود والفيض دون التمام ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار [8] ولو لم يكن لكل ذى طبيعة غاية ، لكان خلق السموات والارض و مابينهما عبثاً و هباء و معطلا و هزء و هواء ، وقد نبه الله سبحانه على هذه الدقيقة الجليلة والحكمة العميقة النبيلة ، بقوله : افحسبتم انما خلقناكم عبثا و انكم الينا لاترجعون [9] ثم ردهذا المقال وزيف نقد هذا الخيال الحسبانى الشيطانى، الذى مبناه على ابطال الغايات و جحود الكمالات للطبايع والغايات ، واجل جنابه عن هذا الفعل القاصر بقوله : فتعالى الله الملك الحق [10] اى هو متعال عن هذا البهتان الصريح والحسبان القبيح ، المستنكر نسبته الى ادنـى الفواعل الذاتية الطبيعية ، فكيف الى فاعل الكل الذى يرجع اليه كل شىء ، و يعود وينساق اليه كل غايب و مشهود .

فثبت و تحقق ان لكل خلق غاية ، و غاية الخلق والايجاد ايصال كـل واحد الى كماله ، وارواء كل واحد من مشرب جماله ، و هذا مسلك دقيق انيق يحكم به على كل شىء بالبرهان، حتى الحجر والمدر، فضلاعن الحيوان والبشر، بانه يصل يوماً الى حضرته و يتلاشى نوره فى نور عظمته ، و بهـذا يثبت العالم الاعلى ثم الاعلى ، والمنزل الاشرف فالاشرف ، الى ان ينتهى الى غاية الكل و نهاية السبل ، فان درجات الوجود و طبقات الكون منازل

٧ـ النقير رداء ن ل　　٨ـ ص ٢٧
٩ـ مؤمنون ١١٥　　١٠ـ طه ١١٤

و مراحل الى‌الله تعالى ، اذالوصول اليه اما فى هذا العالم الفانى الخسيس المظلم ، او فى عالم اخر، لاجايزان يكون فى هذا العالم لفقدان ما يجب من المناسبة بين الواصل والموصول اليه ، اين الجسمانى الظلمانى والرب السبحانى الصمدانى ، ما للتراب و رب الارباب ، فالسالك اليه تعالى ما لم يتجرد عن ذاته ، ولم يخرج من بيت صفاته ، ولم يتطور بالاطوار الكونية ، ولم يتوارد عليه النشات الوجودية ، لايمكن‌له العبور الى عالم الحقيقة ، قل‌الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم‌القيامة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لايعلمون[١١].

و بوجه اخر نقول : ان هذا العالم دارالكسب والعمل لادارالجزاء والوصل ، لان الموجودات التى فيه من حيث انها فيه من باب الحركة والاستحالة مشوبة بالقوة والعدم ، ممنوة[١٢] بالظلمة والشر والنقص ، فليس هذا العالم دارالموطن و المستقر، و منزل الخير والتمام والكمال ، و معدن العدل والقسط والنور والسرور ، فانا نرى الحقوق غير واصلة فيه الى مستحقيها ، بل الى غير اهلها ، او لاترى اكثر ارباب الدنيا الدنية من اصحاب البطالة والجهالة ، وقد اثروا لجهلهم و خسرانهم زخارفها وحطامها، وحشدوا[١٣] : من‌النساء والبنين والقناطير المقنطرة من‌الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث[١٤] فارهين فاكهين فى‌النعم ، وهم جهال ضلال ، ناسون انفسهم ، فضلا عن باريهم و خالقهم و رازقهم و منعمهم و مصورهم ، و عما صدر عنه فى حقهم من اثار رحمته العامة، وانوار فضله و عنايته الشاملة ، و نرى افاضل الناس من الاذكياء والاكياس ارهقهم القشف واجحف بهم‌الدنف[١٥] بل كانوا كاكثر اولياء الله مثل على بن ابى‌طالب عليه‌السلام و حسين عليه‌السلام و احبابه ، و انصار هؤلاء واعوانهم ، وهم حزب‌الله و جنوده ، و اهل الحق و وفوده ، عرضة للبليات ، وغرضاً لسهام الافات والنكبات ، من القتل والضرب ، واباحة الحرام المعظم ، و سفك

١١ــ جاثيه ٢٦ — ١٢ــ ممنوة بكذا ، اى اختبره وابتلاه

١٣ــ حشدوا ، اى جمعوا — ١٤ــ آل‌عمران ١٤

١٥ــ الرهق العسر والظلم، والقشف ضيق‌العيش، والانف المرض التقيل الملازم.

الدم‌المحترم ، فكيف يكون هذا جزاء للمسيىء باسائته ، و للمحسن باحسانه؟ على ما اخبر سبحانه بقوله : و جزاء سيئة مثلها[١٦] و قوله : هل جزاء الاحسان الاالاحسان[١٧] ؟ بل هذا الذى نراه و نسمع من‌الاحوال جزاء للمسىء احسانا، وللمحسن اسائة .

فثبت اذن ان الجزاء المتوقع انما يكون يوم‌الدين فى‌دار اخرى غير هذه ، و ايضاً فاى فعل اقبح من ان ملكا من ملوك الارض كجمشيد وافريدون و غيرهما ، صاحب الشوكة والجاه العريض والسرير الرفيع والكرسى الوسيع، وارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى‌البلاد[١٨] لواتخذ بستانا على احسن ما يكون مثل ، مثل‌الجنة التى وعدالمتقون ، يجرى فيها الانهار ، و غرس فيها الاشجار والازهار ، حتى اذا اخذت الارض زخرفها ، وازينت و تنوعت انوارها و تلونت ، ثم اشترى عبيداً و اماء ، و اسكنهم فى تلك الجنان واحلهم محل الكرام ، و يقول لكل واحد منهم : اسكن انت وزوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما[١٩] كلوا وارعوا انعامكم[٢٠] فطفقوا يتمتعون و يأكلون كما تأكل الانعام ، و يواقع بعضهم بعضاً مواقعة الدواب والهوام ، فينهمكون فى اللذات والنعيم ، و يشربون من‌الرحيق شرب الهيم والبهيم ، ولهم فيها فاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون[٢١] على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين[٢٢] ولهم فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين[٢٣] فبيناهم كذلك اذا اتاهم امر‌الملك ليلا اونهاراً، فجعلهم حصيدا كان‌لم‌تغن‌بالامس[٢٤] فاصبح كلهم هشيما تذروه الرياح[٢٥] واصبحت كالصريم[٢٦] و اذا كان مثل هذا الفعل قبيحاً من‌الملوك المجازيين ، فكيف يظن مثل هذا الظن الاثيم بملك الملوك ذى‌العرش المجيد فعال لما يريد[٢٧] المنزه فعله عن‌العيب والقصور والعبث والنقص والفتور، تعالى عما يقوله الملحدون علوا كبيرا، بل كان‌الله

١٦ــ شورى ٤٠
١٧ــ رحمن ٦٠
١٨ــ فجر ٧ و ٨
١٩ــ بقره ٣٥
٢٠ــ طه ٥٤
٢١ــ واقعه ٢٠ و ٢١
٢٢ــ واقعه ١٥ و ١٦
٢٣ــ زخرف ٧١
٢٤ــ يونس ٢٤
٢٥ــ كهف ٤٥
٢٦ــ قلم ٢٠
٢٧ــ بروج ١٥ و ١٦

على كل شيء قدير، او اذا كشف الحق عن ساق ، بان وانكشف ان الى ربهم يومئذ المساق ، فلا يظلمون فتيلا*[٢٨] .

المشهد الثانى

فى الادلة على وجود المفارقات النورية

و اذا كان أثبات العالم الاخر من اجل المطالب و اشرفها و انفسها ، فلنكتب عليها بجد و تشمير، بقوة العلى الكبير .

فنقول : ان وجود المحسوس من كل نوع يدل على وجود المعقول ، و انه لولم يكن معقول سابق لم يكن محسوس لاحق اصلا ، و يدل عليه وجوه:

الاول : ان الحقايق العقلية اشرف من الحسية ، والاشرف اقدم وجوداً من الاخس ، فان الفاعل المطلق والواهب الحق لايترك الاشرف فالاشرف و يفعل الاخس فالاخس ، مع ان قدرته واسعة على كل شيء ، و علمه محيطة بكل جليل و حقير، وبكيفية الترتيب بين الامور، وبكمية التفاوت بين كل ظلمة و نور و ظل و حرور ، فيكون وجود العقليات منه اسبق من الحسيات .

الثانى : ان الواجب من المعقولات ، والممكن من المحسوسات ، والواجب قبل الممكن ، فالمعقول اذن قبل المحسوس .

الثالث : ان الحقايق الخارجة ما لم يرتسم فى الاذهان والعقول اولا ، لايمكن تركيب الصورة عليها فى الوجود الحسى ، اذ من الجهل والغفلة والغباوة لايحصل وجود الاشياء ، واعتبر بالبناء : كيف يصور اولا فى ذهنه صورة البناء و يخترعها ، ثم يصنعها فى مادة الطين والماء بتحريك المواد والاعضاء ، على وفق ذلك المخترع المنشأ كيف يشاء ، كذلك صانع السموات والارضين ابدع اولا بقوة علمه و عنايته فى عالم قضائه و حكمته صور الموجودات قبل عالم خلقه و تقديره ، فبان ان المعقول قبل المحسوس ،

* لابأس بهذا الطور من الكلام ، لان المصنف قدس سره قد استطرد بعض الايات فى سياق كلامه، وزان كلامه بتلك الايات الباهرات ، و ان كان تصرف فى بعض الضماير لمقاصد الكلام و تبيين المقام .

٢٨ــ نساء ٤٩

والمعلوم بالذات قبل المعلوم بالوسايط والعلات .

الرابع : ان المعقول ابسط من المحسوس ، لان المحسوس اكثر تركيباً منه ، والبسيط قبل المركب ، فالمعقول قبل المحسوس .

الخامس : ان المعقول اشد تجرداً من المحسوس ، لبرائة الاول عن التقييد بالزمان والمكان ، و تلبس الثانى بهما و فقره اليهما ، والمجرد قبل المكتسى .

السادس : من العرشيات : ان الوجود فى المحسوس ممزوج بالعدم ، لكونه غير خال عن العدد والمقدار ، و كل ماله كثرة بالفعل كالعدد والمعدود، او بالقوة كالمقدار والمتقدر، فوجوده متشابك بالعدم ، بخلاف الوجود فى المعقول ، فانه صرف خالص عن العدم ، اوله عين اخره و ظاهره عين باطنه ، والصرف الخالص من الشىء قبل مغشوشه و ممزوجه ، فالمعقول قبل المحسوس .

السابع : ان المعقول تام الوجود و نوعه باق فى شخصه ، لتجرده عن مادة قابلة للفصل والوصل ، والمحسوس ناقص الوجود مفتقر الى حامل يقبله ، و الى حافظ يقيمه ويديم بقاؤه و يحفظه ، والا فهو بصدد التفرق والانقسام والانخراق بعد الالتيام ، والتام قبل الناقص بالشرف والغاية ، فالمعقول قبل المحسوس .

الثامن : ان كل نوع محسوس متكثر الافراد، اذا نظرنا الى ذاته و حقيقته التى بها هوهو، وجدناها غير مقتض لمقدار خالص او وضع خاص او اين معين و ساير ما به يكون المحسوس محسوساً ، اى صالحا لان يقع اليه اشارة حسية ، و الا لم يوجد شىء من افراده فى غير ذلك المقدار او الوضع او الاين ، فحقيقة كل محسوس بما هى حقيقة ذا المحسوس [٢٩] غير محسوسة ، بل يكاد ان يوجد معقولة ، ولا شبهة فى ان حقيقة كل شىء و ذاته اقدم من لواحقه و عوارضه التى يتوقف عليها نحو وجوده الحسى فالمعقول من كل موجود اقدم من محسوسه .

التاسع : ان المعقول محض النور ، اذ به ينكشف الاشياء و يعلم ، لكونه

٢٩ـ المخصوص ن م

من عالم اللطافة واللباب ، والمحسوس محض الظلمة ، اذ به يمتنع كون الشيء معلوماً منكشفا ، لكونه من عالم الكثافة والقشور ، والاول قبل الثانى ، واعتبر هذا بالمحسوسات فان الالطف الانور فيها قبل الاكثف الاكدر ، الاترى ان رئيس العناصر الذى هوالنار ، كيف يسبقها وجوداً و يحيط بها مكاناً علياً لنورانيته و لطافته ، وكذا السماء سبقت الارض كما عرفت لشفافيتها ، ولهذا تقدم ذكر السماء على ذكر الارض تأسياً للوجود اللفظى بالوجود الكونى الطبيعى فى جميع المواضع ، نحو قوله : خلق السموات والارض [٣٠] وكذلك لن يسوغ فى عناية البارى و رحمته تقديم ايجاد الظلمة على النور ، و تأخير اللب عن القشور ، و فعل الاخس الانقص قبل الاشرف الاتم ، مع ان الظلمة من ممكن العدم، و النور من معدن الوجود ، والبارى سبحانه ينبوع النور والوجود ، وانما دخل العدم والظلمة فى بعض افعاله النائية عن منبع الافاضة والوجود ، على حسب الغرض اللاحق والقصد الثانى ، ولذلك وقع الشر فى بعض حواشى الوجود و فى صف نعال عالم الكرم والجود ، لا فى اوايل المصنوعات و بداياتها ، وما بالذات اسبق مما بالعرض ، فالمعقول النورى قبل المحسوس الظلمى ، الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور [٣١] اى يخرج النفوس الايمانية العرفانية بافاضة الحقايق العلمية على ذواتهم ، من ظلمات عالم المحسوس الى نور عالم المعقول ، و ذكر الظلمة بالجمع والتكثير ، والنور بالافراد والتوحيد فى جميع مواضع القران ، دال على ان المحسوس من عالم الكثرة ، والمعقول من عالم الوحدة ، والواحد قبل الكثير بالضرورة ، فالمعقول قبل المحسوس .

العاشر : ان ادراك الحواس لايتم الا بالعقل ، و ادراك العقل لايحتاج الى شيء من الاحساس ، و نسبة الادراك كنسبة المدرك الى المدرك ، فهذا انما يدل على ان المحسوس لايتم وجوده الا بوجود المعقول مع استغنائه عن ذلك ، بل وجود المحسوس ينطوى فى وجود المعقول ، انطواء الحس فى العقل ، الاترى ان صورة المحسوس التى وجودها فى المادة ، اذا فرض تجردها عن المادة و استقلالها فى الوجود ، صارت معقولة قائمة بذاتها ، فقد

٣٠ـ زمر ٥ ٣١ـ بقره ٢٥٧

علم ان المعقولية غناء الوجود، والمحسوسية افتقاره ، والمفتقر لكونه محتاجاً الى المستغنى ،كان المستغنى اقدم وجوداً من المفتقر ، فالمعقول اسبق من المحسوس.

فهذه عشرة كاملة من الدلايل والحجج القاطعة الساطعة ، على ان فى مضمار الوجود و ميدان حريم الخير والجود ، قد سبق كرايم افراس العقول ليام[٣٢] حمر المحسوس .

و اما الدلايل الظنية النقلية فاقرأ قوله تعالى : فالسابقات سبقا[٣٣] اى العقول السابقة على جميع الممكنات ، فالمدبرات امراً[٣٤] اى النفوس المدبرة للاجرام العالية ، فدلت الاية على هذين النوعين من الموجودات الشريفة ، و قوله عليه و اله الصلوة : خلق الارواح قبل الاجسام بالفى عام ، و قوله صلى الله عليه واله : اول ما خلق الله العقل ، قال له اقبل فاقبل ، ثم قال له ادبر فادبر ، ثم قال و عزتى و جلالى ، ما خلقت خلقا اعظم منك ، بك اخذ و بك اعطى و بك امنع ، و هذا الحديث مما يطول شرحه ، و ما يدرى احد ما معنى هذا الاقبال والادبار من العقل الا الله والراسخون فى العلم ، و مما يدل على وجود عالم العقل بل عقل الانسان قوله تعالى : و ننشئكم فيما لاتعلمون[٣٥] و قوله : والخيل والبغال والحمير لتركبوها و زينة و يخلق ما لاتعلمون[٣٦] و قوله : و ما يعلم جنود ربك الاهو[٣٧] فاولا عقل ثم عاقل ثم محسوس ثم حس ثم عقل ثم عاقل ، و ان الى ربك المنتهى[٣٨] و اليه الرجعى .

ثم اظهر المحسوسات عند الحس الاعراض الانفعالية ، و اوضحها الحركة والمتحركات الفلكية التى دلت الهيئة على كثرتها ، دالة على كثرة عقولها المحركة اياها على سبيل التشويق والامداد ، فان الحركة الدورية الفلكية دلت على ان مبدأها نفس حية ناطقة عالمة نطقاً عقلياً ، و ان حركتها ليست حيوانية حساسية لاجل غرض حيوانى شهوى او غضبى بل نطقى ، و

٣٢ــ لئام (المطبوعة)

٣٣ــ نازعات ٤

٣٤ــ نازعات ٥

٣٥ــ واقعه ٦١

٣٦ــ نحل ٨

٣٧ــ مدثر ٣١

٣٨ــ نجم ٤٢

ليس الغرض امراً مظنونا ولا مقصداً سفليا ، بل غرضاً علوياً عقليا كما سيجيء بيانه .

ثم ان الايات الدالة على ان الافلاك والكواكب احياء ناطقة في الكتاب والسنة كثيرة ، فهي ايضاً ذوات انفس ناطقة حية عاقلة ، مبطلة لجحود من جحدها من اهل الجدل والعناد واللداد ، حجتهم داحضة عند ربهم و عليهم غضب ولهم عذاب شديد[٣٩] و اى عذاب اشد من ان يعمى ابصارهم عن رؤية ايات الله و مصابيح طريقه و اعلام سبيله ، من البراهين الواضحة التى هى طريقة اصحاب البرهان ، وفوقهم اصحاب العيان و اهل الايقان والاحسان ، يعبدون الله كأنهم يرونه على ما اشار اليه الحديث المشهور عن النبى صلى الله عليه واله عند استكشاف جبرئيل عن احوال هؤلاء عنه بقوله صلى الله عليه واله : الذين سبقوا كل غاية ، وهم اساطين العلم والعرفان ، وسلاطين الحكمة والبرهان ، وقد انكشف لهم عند تجردهم عن نواسيت الابدان و تبتلهم الى الله الواجب الواهب الديان ، وجود موجودات شريفة عقلية صورية نورية فوق عالم الاجسام و عالم النفوس ، وقد شاهدها جمع من اساطين الحكمة ، المقتبسين انوار علمهم من مشكوة النبوة مثل افلاطون الكبير ذى الايد والنور ، و نحن احكمنا طريقه و احيينا حكمته بتأييد الله و توفيقه والهامه و تعليمه ، من اثبات جوهر عقلى و مثال ملكى روحانى قايم بين يدى الله لكل نوع جسمانى ، هو رب طلسمه و مقوم جسمه و واسطة خلقه و ايجاده و حافظ بقائه و ايلاده ، وقد ذكرنا براهين هذا المقصد الشريف فى الشواهد الربوبية .

قال تعالى : و ان من شيء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم[٤٠] و قال : وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً[٤١] اشارة الى كثرة الملائكة العقلية . الذين هم وسايط رحمته وجوده ، المستغرقون فى بحار انوار وجوده ، وهم مفاتيح غيبه و علمه لقوله : و عنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو[٤٢] و على الجملة عالم الاجرام و عالم النفوس تحت تصرف العقول

٣٩ــ شورى ١٦ ٤٠ــ حجر ٢١
٤١ــ نجم ٢٦ ٤٢ــ انعام ٥٩

و فى ايدى قهرها و ايجادها ، بل كلا العالمين متلاش مضمحل فى لجج انوارها ، مغمور و مطموس فى قهراضوائها و اثارها كما قال عزوجل : والسماء بنيناها بايد[٤٣] هذافى حق الاجرام العالية، واما فى شأن الصور والمواليد الكائنة البالية فقال : اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاماً فهم لها مالكون[٤٤] فدلت الايتان بصراحتهما على ان السماء مبنية بالايد التى هى العقول ، و ما زعم الظاهريون من اهل التفسير : ان الايد هاهنا بمعنى القوة لاجمع اليد لاينافى ذكرناه من التحقيق ، لان اليد عبارة عن ما به الافاضة للخير على الغير ، سواء كان عضواً محسوساً ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، او قوة عقلية بل هذا كما يقال : الوزير يد السلطان ، اى واسطة فيضه على من سواه ، واليد بمعنى العضو المركب المايت الجامد العفن الفاسد فى حق الله محال ، و بمعنى الجوهر الناطق الروحانى جايز ، فنحن سميناه عقولا كما سماه الشرع ملكا مقربا ، فان احبوا تسميتها بالقوة فلا مشاحة فى العبارة بعد الاتفاق على وحدة المعنى ، لان معنى العقل و معنى القوة واحد ، وهو واسطة الانعام على النبات و الحيوان ، كما فى قوله : مما عملت ايدينا انعاما[٤٥] اذ هى معمولة ايدى الله ، و قال ايضاً تنبيهاً على ان عالم الانفس تحت تصرف العقول : فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء[٤٦] و قال ايضاً : قل من بيده ملكوت كل شىء[٤٧] و ملكوت الاشياء البابها الروحانية لاقشورها الجسمانية، كما ورد فى رموز الانبياء عليهم السلام: ان لكل شىء ملكا، واللب هو الجوهر الخالص الباقى من كل نوع طبيعى ، والقشر هو الامر الداثر الزايل، واللب الصافى هو اللايق بان يتغذى به القلوب والجنان فى دار الجنان ، والقشر يحرق فى اتون جهنم مع الحجارة بالنار المذيبة ، التى وقودها الناس والحجارة[٤٨] فهذه الاية اشارة الى ان عالم النفوس مقهور تحت استيلاء العقول .

٤٣ــ ذاريات ٤٧ ٤٤ــ يس ٧١
٤٥ــ يس ٧١ ٤٦ــ يس ٨٣
٤٧ــ مؤمنون ٨٨ ٤٨ــ بقره ٢٤

و قال فى حق عالم الاجرام : تبارك الذى بيده الملك[49] وانظر الى دقيقة مرعية فى اعجاز الوحى الالهى ، وهى ان الملكوت لما كان اشرف من الملك، فلا جرم ذكر الاول بلفظ سبحان ، والثانى بلفظ تبارك ، لان كلمة التسبيح تنزيه و تقديس عما لاينبغى ، واجلال واعظام كما ينبغى ، و اما صيغة التبرك فمأخوذ من البركة ، و هو الخير الكثير، ولاشك ان وجود الاجرام بعد العقول و النفوس التى حصل فيها التمام والاكتفاء من الخير الكثير و مزيد الافاضة ، والملك جميع عالم الاجسام ، و هى قشور عالم الارواح الذى هو الملكوت الاعلى والاسفل ، اعنى العقول والنفوس ، و بيده جميعها ، و هذه يدالله الخاصة به ، لكونها بمعنى صفة قدرته ، و هى فوق ايدى العقول والنفوس ، لقوله : يدالله فوق ايديهم[50] و بعدها يدان مبسوطتان بالانفاق، و بعدهما فى الوجود الايدى العمالة باذن الله من القوى النفسانية ، المشار اليها فى قوله : مما عملت ايدينا انعاما[51] و يده تعالى يتقدس عن ان يكون جوارح جسمانية ، وكذا قلمه و لوحه و كتابه ، بل ما يليق بذاته و صفاته و يداه المبسوطتان هما العقل والنفس ، وكلتا يدى الرحمن يمين ، لانهما من ناحية القدرة الالهية والقوة الواجبة ، و لذلك قال : والسموات مطويات بيمينه[52] .

و اما اهل الشمال فهم فى ناحية الاجسام والجسمانيات التى فيها ضعف الوجود و نقصه ، الا ان العقل اقوى من النفس ، كما ان الروح النافذ فى اليد اقوى من جوهره المتحرك ، و اياك و ان تنحط و تهوى فى مكان سحيق من مقام التشبيه ، او ان تنحصر و تحبس ايضاً فى مكان ضيق من مقام التعطيل ، حتى لاتعتقد فى حقه تعالى هذه الاشياء التى نطق بها القران والخبر، فكلا طرفى الافراط ذميم ، فعليك بسلوك الصراط المستقيم ، حتى لاتسبقك غال، ولا يلحقك مقصر، ولو فتحت بصيرتك الى مطالعة كتاب الصورة الانسانية المخلوقة على صورة الرحمن ، لشاهدت هذه الكرامات الالهية فى نسخة وجوده ، فان يده الباسطة الى عالم الجود الالهى روحانية ،كما كان

۴۹ــ ملك ۱ ۵۰ــ فتح ۱۰
۵۱ــ يس ۷۱ ۵۲ــ زمر ۶۷

اليد البيضاء لموسى عليه السلام و عصاه ، فان الذات لما كانت من عالم الروحانيين ، فكذا اجزاؤها و صفاتها ، فجزؤها العملى المغربى ، وجزؤها العلمى المشرقى ، كلاهما روحانى ، وكذا قلمه روحانى ، وهو عقله البسيط الاجمالى الذى هو مبدأ تفاصيل العلوم النفسانية ، وكذا لوحه روحانى ، اعنى نفسه الناطقة المنفعلة عن العقل الفعال ، المنقوشة فيها تصاوير العلوم التفصيلية الزمانية ، و من هذا القبيل كتابه المقرؤ يوم القيامة ، لا فى هذا اليوم ، لانه من عالم الغيب ، و هذا من عالم الشهادة ، و لهذا قال تعالى : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا[٥٣] و ذلك الكتاب اما من كتابة الحق لاريب فيه ، ان كان المكتوب فيه المعارف الالهية والحقايق الايمانية، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان[٥٤] و اما من كتابة الشيطان ، ان كان المكتوب فيها الكذب والبهتان ، كالخيالات الفاسدة والجهالات المعطلة ، والامانى الكاذبة ، و مثل هذه الكتب يستحق ان يحترق بالنار، ان كتاب الفجار لفى سجين ، و ما ادريك ما سجين[٥٥] ويل يومئذ للمكذبين[٥٦] .

المشهد الثالث

فى اول العوالم، وهو عالم الامر وعالم العقول الصرفة

فاول العوالم عالم العقل ، فاول باب انفتح منه ما هو فى غاية العظمة والجلال والاشراق ، لايمكن فى الممكنات اشرف منه واعظم ، بل لاامكان له فى نفس الامر، لانه احتجبت ظلمة امكانه تحت سطوح النور الاول ، واختفى ظل ماهيته تحت ضياء الكبرياء ، وهو اول الصوادر و ثانى المصادر، كأنه شمس عالم العقول ، من حيث ان انوار العقول و اضواء النفوس شعل من نوره و قطرات من بحره ، وهو خليفة الله و مثاله فى عالم العقل، و هذه الشمس الحسى مثاله فى عالم الحس ، لقوله تعالى : وله المثل الاعلى فى السموات[٥٧] ولقوله عليه السلام : لو كان وجه الشمس ظاهراً لكانت تعبد

٥٣ــ اسراء ١٤
٥٤ــ مجادله ٢٢
٥٥ــ مطففين ٧ و ٨
٥٦ــ مرسلات ١٥
٥٧ــ روم ٢٧

من دون‌الله ، و يسمى عقل الكل والعنصر الأول عندالفلاسفة ، و فى لغة الفهلوية بهمن ، والحكماء المحققون متى اصدروا القول بلفظ العالم يعنون به هو لاغير ، سيما عالم العقل ، اذ الكل لما كان منه ، فكان كله هو و هو كله ، و اذ كان هذا حقاً فى‌واحد من الممكنات ، مع ان هويته بغيره ، فماظنك بهوية قيومية ديمومية احدية .

فلهذا اطلقوا حقا : ان ليس فى‌الوجود الاالله ، لان كل شىء هالك الا وجهه[٥٨] و هو امام الموجودات فى قوله : و كل شىء احصيناه فى‌امام مبين[٥٩] و هو ام‌الكتاب فى قوله : و عنده ام‌الكتاب[٦٠] و هوالعلى الحكيم فى‌قوله: وانه فى ام‌الكتاب لدينا لعلى حكيم[٦١] و هوالحقيقة المحمدية لاشتماله على جميع المحامدالتى يحمد بها الحق تعالى، كما فى‌قوله صلى‌الله عليه واله: فاحمده بمحامد لا اعرفها الان ، و ذلك لان ظهورها عليه و تحققها به موقوف على قيام الساعة ، فما دام صلى‌الله عليه واله من عالم البشرية لم يتحقق بها كما هو حقه ، و لذلك قال : اول ما خلق‌الله نورى ، و اياه عنى بقوله : اول ماخلق‌الله العقل ، و بقوله : اول ما خلق‌الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء .... الحديث ، فهذه الاوليات كلها للعقل ، و لكن بحسب اعتبارات و اوصاف ، فمن حيث انه دراك للاشياء عقل ، و من حيث انه منقوش بنقش خاتم خالقه عزاسمه لوح محفوظ ، اى عن‌التغير والتبدل ، و حافظ لحفظه جميع مافيه ، و من حيث انه نقاش العلوم على الواح الارواح الفلكية والعنصرية قلم ، و من جهة انه غاية الممكنات و كمالها ، و خاتم النشات و تمامها، هوالروح المحمدى ونوره ، و من‌جهة انه قائم الذات برىء عن الحوامل والمحال جوهر مخلوق ، من ضوئه الواجبى سائرالعقول ، و من ظله الامكانى جميع‌النفوس ، و من ظلمته الحدوثى جميع الاجسام كما نطق به الحديث .

وفى القران ورد فى وصفه : و ما امرنا الا واحدة[٦٢] و مع وحدته كل

٥٨ـ قصص ٨٨
٥٩ـ يس ١٢
٦٠ـ رعد ٣٩
٦١ـ زخرف ٤
٦٢ـ قمر ٥٠

الموجودات ، و قد برهن فی مقامه علی : ان العقل جمیع الاشیاء ، فالعقل نوره و هویمین الرحمن فی‌قوله : والسموات مطویات بیمینه[٦٣] و فی‌الحدیث عنه صلی‌الله علیه واله : یمین الرحمان ملاء سخاء ، ای ممتلیة فیاضة بالذات، و هو ایضاً اسم‌الله الاعظم ، و سایر العقول والنفوس من حروفه ، و هی کلمات الله الغیر النافذة و افعالها الامریة اللامکانیة اللازمانیة ، و هو المشار الیه فی قوله تعالی : بیدك الخیر[٦٤] و قدیسمی روح‌القدس ، اذ عالم القدس کله منه، و هو عرش الله العظیم المجید الکریم ، و هوالذی استوی الرحمن علیه ، و هوالعرش الذی کان علی الماء قبل خلق‌السموات والارض بخمسین الف‌سنة.

و لما کان هویده الیمنی المطوی بها سماواته العلی ، فلاجرم العقل الاخیر قبضته المطویة بها بسیطة الارض یوم‌القیامة ، و هذا و ان کان‌الیوم هکذا للمستبصرین ، الا انه یظهر علی الکل یوم التلاق ، یومهم بارزون برزة روحانیة من ظلمات برازخ الهیاکل الی سناء عالم الملکوت ، فمن کان فی هذه اعمی فهو فی‌الاخرة اعمی و اضل سبیلا[٦٥] و اقل دلیلا ، فمکفوف البصر اذا فتحت باصرته متبرزاً الی وجه‌الشمس یحسب[٦٦] ان الشمس قدطلعت الان ، و هو لایدری ان الشمس مازالت طالعة ، و لکن ناظرته الان قدرأت واکتحلت بنورها ، و هذه البرزة من البرازخ هی المسماة موتا ، اذ بالموت یقع البروز الی‌الله ، لقوله : و برزوا لله[٦٧] و منه قوله : و برزت الجحیم لمن یری[٦٨] لان کل من‌مات فقد قامت قیامته و حانت ساعته التی عندها یقال له: فکشفنا عنك غطائك فبصرك الیوم حدید[٦٩] فحد البصیرة من مواهب الازل وکذا سدها ، فی قوله: وجعلنا من بین ایدیهم سداً ومن خلفهم سدا فاغشیناهم فهم لایبصرون[٧٠] و لکن هذا التفاوت من جهة تفاوت القوابل و تخالف الاستعدادات الذاتیة والمکتسبة ، لا لقصور فی ذات الفاعل ، فشمس سعادة الکبریاء والعظمة متی اشرقت من بروج الجبروت ، وانبثت اشعة فیضها علی

٦٣ــ زمر ٦٧
٦٤ــ آل‌عمران ٢٦
٦٥ــ اسراء ٧٢
٦٦ــ یحسب ن ل
٦٧ــ ابراهیم ٤٨
٦٨ــ شعراء ٩١
٦٩ــ ق ٢٢
٧٠ــ یس ٩

كتايب النواسيت ، اثارت من بعضها طيب السعادة و من بعضها فتن الشقاوة ، و اورث لقوم ذكاء و فطنة ، ولاخرين بلادة و غباوة ، بلاضنة و بخل ببياض بيضة اسلام و سواد بلدة كفر ، ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت[٧١] بل ساقية الوجود من بحر الكرامة والجود يسقى بماء واحد ، لكن الناس معـادن كمعادن الذهب والفضة ، و مكامن كمكامن الحديد والاسرب ، فيبرز من كل واحد من السنخين بعدان يميز النار بين المغشوش والصاف ، كما قال : ليميز الله الخبيث من الطيب[٧٢] ماكان كامنا ، و يظهر ما كان باطنا ، و يومئذ تبدل الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار[٧٣] فهذا العقل هو الذى به يبنى عالم الوجود ، و انبجس من مصدر الجود ، كما ينفجر الصبح من شمس النهار ، والاشعة من الانوار ، والحرارة من صورة النار .

المشهد الرابع

فى ثانى العوالم وهو عالم المدبرات النفسانيه

العالم الثانى عالم النفس ، فاول باب انفتح من بحر الجبروت الى هذا العالم ، هو الذى يسمى نفس الكل والروح الامين واللوح المحفوظ والكتاب المبين ، و هو الماء الذى كان عليه عرش الرحمن ، و هو الماء المذكور فى قوله : و جعلنا من الماء كل شىء حى[٧٤] اذ هى عين ماء الحيوة الفوارة الجارية فى عالم الاجسام ، السارية الى سواقى الاجرام ، و هو المذكور فى قوله تعالى : خلقكم من نفس واحدة[٧٥] اذ كل النفوس منه استعدادها لقبول الكمالات لاذواتها و حقايقها ، و من مواهب كمالاتها فيض الالهام ، كما ان فيض الوحى من عطايا عقل الكل ، لان الوحى اشرف واشرق من الالهام، وان اشتركا فى الاعلام الباطنى ، و كذا المنامات الصادقة من فيضها ، و هو الماء المذكور فى قوله تعالى : انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها[٧٦] .

و فى تفسير ابن عباس رضى الله عنه هو ماء العلم ، و فى تفسير بعض

٧١ــ ملك ٣ ٧٢ــ انفال ٣٧

٧٣ــ ابراهيم ٤٨ ٧٤ــ انبياء ٣٠

٧٥ــ نساء ١ ٧٦ــ رعد ١٧

الحكماء ماء الفيض والجود و كلاهما واحد، و فى تفسير بعض القراء : ماء : القران ، والكل متقارب ، و قوله : فسالت اودية بقدرها ، اى النفوس الجزئية يقبل من ذلك الفيض النازل من عند نفس الكل بحسب استعداداتها، ثم ذلك الفيض السارى كالماء الجارى[٧٧] لكل محروم ، وسائل فى الأودية، قد يفيد لبعض النفوس شكوكا و شبها ، فسماه لسان القران زبداً رابياً ، **مثل** زبد البحر الطافى على وجه الماء ، و قد يفيد لبعضها حججاً و براهين قاطعة ساطعة ، و هو الزلال الصافى ، فالزبد للغافلين والزلال للواصلين ، بل هنا[٧٨] درجات ارفع بحسب صفاء الروح و كدورتها ، مذكورة فى مقامها .

فصل

العالم الثالث عالم الجسم ، فاول باب انفتح من بحر النور الاعظم هو الفلك الاقصى والجرم الاعلى ، و يسمى محددا ، اذ به يتعين الحدود والجهات المكانية كالفوق والتحت ، و بحركته يتحدد الجهات الزمانية كالمضى والاستقبال ، وهو العرش المستوى لنفس الكل ، كما انه العرش المستوى لعقل الكل ، و هو عرش الرحمن ، و يسمى جسمه جسم الكل ، كما ان نفسه نفس الكل و عقله عقل الكل ، اذ هو المعد بحركته اليومية لجميع الاجسام الجزئية لقبول الحيوة والحس، ومن خاصية هذا الجسم ان لا مكان له، بل هو كل المكان ، و ليس فى زمان ، لانه الفاعل للزمان بحركته ، فهذا شرح كليات العوالم الثلاثة .

وقد اطبق الحكماء على وجود هذه العوالم الثلاثة لا نزاع فيها ، انما الخلاف فى وجود عالم مقدارى غير مادى ، مشتمل على صور معلقة لاشرقية ولاغربية ، بل متوسطة بين العالمين ، و واسطة بين الاقليمين ، اى اقليم الروحانيات و اقليم الجسمانيات ، لانه كخط فاصل بين الضوء والظل ، و كالشفق بين الليل والنهار، وقد تكلمنا فى اثباته و برهنا على وجوده العينى ، و عالمه بعينه عالم النفوس الحيوانية الخيالية ، فلا يزيد به عالم اخر كما حققناه ، اذ الناطقة ذات وجهين ، وجه عقلى و وجه حيوانى ،

٧٧ــ الجارى السايل ن ل   ٧٨ــ هاهنا ن م

او كل من هذه العوالم الثلاثة قطرات ثلاث من بحر منبع الجود المطلق والمعبود الحق، فالحمد كله ليس الاله، على ما قال : الحمدلله رب العانمين[٧٩] اذالمحمود الحقيقى هو المنعم على الخلق بالاستقلال ، و اذ لامنعم سواه ، فاليه يرجع عواقب الثناء ، وله المحامد كلها ، والوسايط معدات لامؤثرات، و انما خصص الاضافة بالربوبية الى العوالم دون الالهية والملكية و غيرها من الصفات العظمى تحقيراً لها و تعظيماً لسلطانه ، لان اقل مراتب التدبير التربية .

و اما شرح مبدأ عالم العناصر : فقد اشتهر انه اخر عالم العقول ، وهو العقل الفعال الاخير، واليه الاشارة بقوله تعالى : و اشرقت الارض بنور ربها[٨٠] اذ باشراق نوره يخرج النفوس الانسانية من القوة الى الفعل فى باب العقل والمعقول، وهو الذى قال سيد حكماء العرب امير المؤمنين عليه السلام: ان لله ملكاً له سبعون الف وجه ، له فى كل وجه سبعون الف لسان ، اى كل فيضة من فيضاته وجه له ، ولكل فيض من فيضاته[٨١] صور حادثة على المواد مسبحاً لله ، والتقييد بهذا العدد كأنه اشارة الى سلب الحصر عما يحصل له من الصور فى المواليد ،كما قال تعالى : علمه شديد القوى[٨٢] و تسبيح كل واحدة منها عبارة عن شهادتها على وحدانية خالقها و موجدها ، كما قال : و ان من شىء الا يسبح بحمده[٨٣] و من هذا الملك المقرب يفيض الصور والنفوس النواطق على مواد هذه العالم و ابدانها ، و بهذا الاعتبار يسمى بروح القدس و الروح الامرى فى قوله تعالى : قل الروح من امر ربى[٨٤] و فى قوله : يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده[٨٥] و فى قوله : اوحينا اليك روحاً من امرنا[٨٦] و هو الروح الذى اضيف فى الكتاب الالهى حيث قال : و نفخت فيه من روحى[٨٧] و هو ابونا المقدس ، و هو المعلم

٧٩ـ فاتحه ١ — ٨٠ـ زمر ٦٩

٨١ـ فيضه من فيضانه وجه له ، ولكل فيض من فيضانه ن م

٨٢ـ نجم ٥ — ٨٣ـ اسراء ٤٤

٨٤ـ اسراء ٨٥ — ٨٥ـ غافر ١٥

٨٦ـ شورى ٥٢ — ٨٧ـ حجر ٢٩.

الشديد القوى ، والمؤيد للانبياء والاولياء عليهم السلام بالقاء الوحى اليهم والالهام ، وهو الرسول الكريم ، والمعدود خصاله ، العميم نواله فى قوله : انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين[٨٨] و هو جبرئيل على لسان السريانيين ، النازل على قلوب السالكين على قدر استعدادهم وصفائهم و نقائهم ، فللرسل بالكتاب المنير ، وللانبياء بالوحى وشرع المسالك والمناسك ، وللاولياء بالالهام ، وللمؤمنين بصدق الفراسة والرؤيا .

و على الجملة كل ما يجرى فى عالمنا هذا من الذوات والصفات والافعال من لدن الحق الاول بواسطته ، اذ هو قلم الحق الاول ، و ارواحنا مثل الالواح ، فكتب اعمالنا بقبضه و بسطه ، و صحايف نفوسنا بطيه و نشره ، وازمة اجالنا بحله و ربطه ، اذ هو قبضة الرحمن ، والارض جميعا بيده و تحت تصرفه ، و كذا بتعديله و تسويته صورنا فى مواد النطف منقوشة، وفرش بساط الاشكال على بسيط الهيولى مفروشة ، هو الذى علم القران والايمان لقوله تعالى اقرأ و ربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم[٨٩] .

المشهد الخامس

فى التام و فوق التمام والناقص والمستكفى

اعلم ان الانوار المجردة القاهرة ، القاطنين فى حظيرة عالم القدس ، اعنى العقول الفعالة ، هى كلمات الله التامات ، لان التام هو الذى يوجد له كلما يمكن له فى اول الكون و بحسب الفطرة الاولى من غير انتظار ، وفوق التمام هو الذى يفضل عن وجوده وجود غيره ، و يفيض على غيره لفرط كماله ، وهو واجب الوجود ، والناقص ما يحتاج الى غيره فى كماله اللايق بحاله ، ولا يوجد له فى اول الفطرة ما يستكمل به ، والمستكفى هو الناقص الذى لا يحتاج فى تمامه و كماله الى امر مباين عنه ، خارج عن اسبابه الذاتية و مقوماته ، كالنفوس الفلكية المستكفية فى خروجها عن ما بالقوة الى الفعل فى حركاتها الشوقية بمباديها الذاتية العقلية ، و كنفوس الانبياء سيما

٨٨ــ تكوير ١٩ الى ٢١ ٨٩ــ علق ٣ الى ٥

خاتمهم عليه و عليهم السلام حيث لم يحتج فی تكميل نفسه القدسية الى معلم خارج بشری ، بل يكاد زيت نفسه الناطقة يضيئی بنور ربه ولو لم تمسسه نار التعليم البشری لغاية لطفه و ذكائه ، فالعقول المقدسة عن الاجرام هی كلمات الله التامة العليا ، والنفوس المدبرة للسماويات هی كلماته الوسطی ، والنفوس السفلية هی كلماته السفلی ، وكثيرا ما كان يقول شارع العرب والعجم صلی الله عليه واله : اعوذ بكلمات الله التامات كلها ، يشير به الی العقول الكاملة التامة ، التی اعطی لها جميع كمالاتها اللايقة بها فی اول الابداع ، بخلاف النفوس والاجرام ، فالاجرام نواقص ابداً ، والنفوس مستكفيات بعضها ، و متوسطات بعضها فی الكمال والنقص والعلو والسفالة ، و بعضها ناقصات مستحيلات هالكات كالاجرام .

و هذه المراتب الثلاث يستفاد من قوله تعالی : وكنتم ازواجاً ثلاثة ، فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة، و اصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة، والسابقون السابقون[90] وهی كالانوار الثلاثة المحسوسة فی عالم الاجسام وهی الشمس والقمر والنجوم، فان هذه الانوار المحسوسة ظلال لتلك الانوار، و طلسمات لتلك الصور، فالشمس مثال للعقل والقمر مثال النفس الفلكية والكواكب امثلة النفوس الثلاثة الارضية المختلفة بالصغر والكبر والاشراق والجلاء والنور والبهاء ، و اذ قد تلوت قوله تعالی : وكذلك نری ابرهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين[91] و فهمت ان المراد من السموات والارض كل الجسمانيات ، و تدبرت فی ان ملكوت عالم الاجسام هی ارواحها كالعقول والنفوس ، علمت ان سير الخليل علی نبينا و عليه السلام كان فی عالم الروحانيات لا فی عالم الجسمانيات ،كما زعمت الغاغة من الناس ، الذين ليس لهم من العلم الظاهر الا الاسم والرسم ، فضلا عن العلوم الحقيقية الباطنية ، ان سيره كان فی عالم الاجسام ، وكان فی حالة سيره هذا غير عارف بربه ، و هذه زعمه عمياء و بصيرة عوراء ، حيث لم يتفطنوا لقوله تعالی علی ما حكی الله عنه : لئن لم يهدنی ربی لاكونن من القوم الضالين[92] فان قوله هذا دال علی انه عليه السلام كان قبل هذه الحال عارفا بربه مقبلا

٩٠ــ واقعه ٧ الی ١٠ ٩١ــ انعام ٧٥ ٩٢ــ انعام ٧٧

عليه بقلبه .

و انما اشتبه عليه رب عالم الملكوت ، فانه لما رأى فى سيره الباطن تلك الانوار المختلفة بالغلبة والاشراق ، والانارة والابراق ، والسناء والضياء، والسلطنة والكبرياء ، اختلاف الشمس والقمر ، والكواكب بالصغر والكبر، دهش وتحير وعن حالته تغير ، فغشيه نورجلال الحضرة واشراق كمال العزة، فبادر الى مثال الكواكب الذى الروح الاول لعالمنا ، والروح الاخير لعالم القدس ، و اقر بربوبيته ، فلما تفكر و غاص فى بحر ماهيته ، واطلع على سرهويته ، عاين بعينه اليقين افول امكانه و زوال حدوثه ، ترقى من مرقاته الى ما هو اعلاه ، فرأى مثال القمر الذى هوالنفس الكلية ، فراها ذات عزة و عظمة و اشراق و ابراق فوق ما للاول اسرع ايضا الى الاقرار بربوبيته ، و فى كل هذه المقامات صدر منه الاقرار بالربوبية لابالالهية ، اعلاماً بان مرتبة الربوبية ادنى من مرتبة الالهية، ودليلا على جزمه بانه ما كان الهاً لهقطعاً بل شكاً منه ، بانه هل يصلح لكونه رباً له املا ، وهكذا درجة درجة كان يترقى ممن هو ادون و ادنى الى ما هو اشرف و اعلى ، على ما اشاراليه سيدنا و مولانا الى مثل هذه الحالة فى مبدأ زمان شهوده و عرفانه بقوله صلى الله عليه واله : انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم سبعين مرة ، سمى الحالة التى حجبت الفكرة عن الوصول الى المقصود غيناً ، و هو دون الحالة التى هى للاولياء المسماة غيماً فى الكثافة والغلظ ، على ما اشار اليه بعض السالكين انه يكون فوق رأسى غمامة ، وقد سمعت بان النبى صلى الله عليه واله قبل بعثته كان فوق رأسه سحابة ذاهبة معه اينما ذهب ، ليمنع حرارة الشمس منه صلى الله عليه واله ، هى سحابة ظلمة البشرية ، الناشية من القوى الطبيعية ، قبل زمان بعثته مانعة من اشراق شمس الفيض عليه من جناب الملكوت ، واغلظ الحجب والنقب ، واكثفها ما للمحجوبين المردودين ، المسمى على لسان القران ريناً ، فى قوله اعلاما لحال الكفرة والمنافقين ، العاتين عن امر ربهم و رسله ، وهم اهل القرية الظالم اهلها : كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[٩٣] الى ان جاوز عالم الامكان و صاح من سكرة

٩٣ـ مطففين ١٤

الحيرة واخذته الغيرة ، استغفر وندم على ما بدر ، فقال : انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً مسلما و ما انا من المشركين[٩٤] فنفى الشرك عن نفسه ، يدل على انه كان قبل توجهه الى كعبة الجلال و قبلة الكمال نور الانوار العقلية و مفيض الاثار الوجودية مشركا ، فى قوله : هذا ربى[٩٥] ، ولكن هذا الشرك والاشتباه الواقع فى سير الملكوت ، اشرف من توحيد القاطنين فى عالم الناسوت ، فان مثل هذا التوحيد لاينكره احد ، ولا يختلف فيه اثنان من الانس والجان ، ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله[٩٦] فخالق الاجرام والاجسام السماوية والارضية والشمسية والقمرية كيف يكون جسماً ، والالكان خالقا لنفسه ، كيف و معرفة الصانع البديع للعالم الرفيع غريزى للعقول ، فطرى للارواح والنفوس ، فضلا عن افاضل الرسل عليهم السلام .

و كثيراً ما يقع للسالك عند خمود القوى و ذكاء نار البصيرة مثل هذا الاشتباه ، كما فى قول ابى يزيد عند سكره وانطماسه فى بحر نور الجلال ، وقطع نظره والتفاته عن نفسه : سبحانى ما اعظم شأنى ، وقول غيره : ليس فى جبتى سوى الله ، اما قول الحلاج للاسرار عند استشفافه من وراء الزجاج ، وشقه قميص البشرية و رفعه سربال الناسوتية ، فيطوى ولايروى ، و يذر ولاينتشر ، فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون[٩٧] و هذا كله عند كشفهم عن كيفية النفس الناطقة النورانية التى هى باب اول من عالم الملكوت ، و وقوفهم على اسرارها و اثارها ، حيث شبهوها بالحق الاول ، اذ هى مخلوقة على صورة الرحمان ، و هذه الحالة يسمى بلسان الحقيقة فناء فى التوحيد ، و بلسان المجاز اتحاداً ، و من هذا المقام زلت اقدام الحلولية والنصارى ، فضلت افكارهم وافهامهم فصاروا حيارى ، و تراهم سكارى و ماهم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد[٩٨] حيث وقعوا على بعض اثار النفس المسيحية ، اذعنوا له الالهية ، وغفلوا عن معرفة ماهيته ، فمن تاب عن هذا المقام و رجع عن

٩٤ـ انعام ٧٩ ٩٥ـ انعام ٧٧
٩٦ـ لقمان ٢٥ ٩٧ـ يوسف ٤٧
٩٨ـ حج ٢

هذا الكلام ، فهو الموحد المعتقد ، اعتقاد ابی یزید ، والمؤمن الموقن ايقان الحسين الحلاج ، و من اصروا استكبر عليه اصرار ابليس على ترك سجوده والخروج عن امر معبوده ، فهو الملحد المعتقد اعتقاد فرعون و نمرود ، حيث قال : انا ربكم الاعلى[٩٩] و ما رجع عن مقاله ولاتغير عن حاله .

و هاهنا دقيقة اشراقية

و هی ان الخليل عليه السلام بدأ فی سيره باصغر الانوار الملكوتية ، التی مثاله الكوكب ، و هو نفسه الناطقة اوالروح الاخير ، ثم باوسط الانوار الذی مثاله القمر ، و هوالنفس الكلية ، ثم باعظم الانوار الذی مثاله الشمس ، وهوالعقل الكلی ، و هذا الترتيب السلوكی والنسك التعليمی خلاف الترتيب الكائن فی الوجود العينی ، فان اول ما خلق الله العقل الكلی ، ثم النفس الكلية ، ثم النفوس الجزئية تنبيهاً على كيفية سير[١٠٠] السلاك و ترتيب حركة النساك ، فان الترتيب الصدوری النزولی الوجودی خروج من الفطرة الاولی ، والترتيب العروجی الصعودی الشهودی رجوع الى الفطرة الاصلية ، فالقوسان نصفا دايرة ، ينعطف اخرها الى اولها ، و ينعكس نهايتها الى بدايتها ، فطريق السير للعقول البشرية الهيولانية هوالتدرج من الاصغر الى الاكبر ، والترقی من الاضعف الى الاقوى ، لان الانسان لكونه مخلوقا من العناصر والاركان فی غاية النقصان فی بداية الامر ، و خلق الانسان ضعيفا[١٠١] روحا وبدناً ، ضعافة ابصار الخفافيش بالنسبة الى جمال الشمس ، تذوب عن ادراك جمال كبرياء الجلال ، فاذا ابتدأ بالاقوى ، تلاشی وانطمس و وقع فی بحر الحرق والغمس* .

٩٩ـ نازعات ٢٤ ١٠٠ـ تسير ن ل

١٠١ـ نساء ٢٨

*والی مثل السلوك الخليلی والنسك الابراهيمی اخبر المعلم الصالح والحكيم الالهی والفيلسوف الربانی افلاطون العظيم عن نفسه ، حين سأل عن وصوله الى ماذا فقال : انی حللت ثلاث سموات ، سماء الطبيعة و سماء النفس و سماء العقل ، فاردت العروج الى مافوقها فجذبتنی الطبيعة المشوشة التی هی جبل الطور ، المانع بينه و بين محبوبه ، فانجذبت اليها ، وارانی ←

دقيقة اخرى

نظير هذا التدرج فى السلوك الشهودى والنسك العقلـى الصعودى ماوقع لنبينا صاحب المقام الجمعى ، صلى‌الله عليه واله بعد ان سلك مراحل الكون و تم سيره الى‌الله ، وشرع فى سيره فى‌الله ، حيث قال فى سجوده و خضوعه لمعبوده : اعوذ بعفوك من عقابك ، و اعوذ برضاك من سخطك ، و اعوذ بك منك ، فالاول اشارة الى توحيد الافعال ، والثانى الى تـوحيد الصفات ، والثالث الى توحيد الذات ، و فى هذا المقام هلك جميع الاغيار ، و لـم يبق فى الوجود الا الواحد القهـار ، فلا حامد له اليوم ، و لا مثنى عليه الا ذاته على ذاته ، فلذلك عقب ذلك الكلام بقوله : لااحصى ثناء عليك ، انت كما اثنيت على ذاتك ، لان الصفات ايضاً مستهلكة كالافعال فى الذات ، فلايمكن الثناء على شىء الا على الذات الاحـدية ، دون الصفة والفعل ، لاستهلاكهما و اضمحلالهما تحت قهر الاحدية الذاتية ، فانظر الى تفاوت المراتب فى السلوك ، الواقع مـن موسى بـن عمران و خليل الرحمن و حبيب‌الله سيد الانس والجان صلوات‌الله عليهم .

المشهد السادس

فى نبذ من احوال الجواهر الملكوتية

هذه الجواهر الزواهر الشريفة المسماة عقولا و نفوساً و غيرها ، لما

→ العقل ان ليس هناك مسلك ، فمن العجزابت ، لامن التوانى ، لان الانسان فى حد العجز و هذا العجز غاية معرفته كما قيل : العجز عن درك الادراك ادراك : شعر

اری ماء ولی عطش شدید　　　ولکن لاسبیل الی الورود

فهل هذه المراتب الثلاث المحكية عن العظيم الحكيم والعارف الشريف الكامل الاماحكى‌الله تعالى عن خليله السالك فى مسالك ملكوت السموات والارض عند قطع المنازل والمراحل ، حتى اعترف بعجز نفسه بعده فقال : و انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ، وهل الكواكب الاسماء الطبيعة والحس ، والقمر سماء النفس ، والشمس سماء العقل ، فمذاهب الناس كلها منازل على صراط الدين السمى .

هذه الفقرة الى . . . صراط الدين السمى ليست فى النسختين المخطوطتين ، و يمكن ان يكون تعليقة و توضيح على هذه الفقرة ، و لهذا وضعناها فى الحاشية و الله اعلم بحقايق الامور .

كانت بحسب حقايقها و اسناخها عرية عن المواد، بريئة عن القوة والاستعداد، وجب ان يكون احوالها سيما العقول، خلاف احكام الماديات الواقعة فى عالم الحركات والانفعالات.

الحكم الاول: انها غير زمانية ولامكانية، و ليس لها مع قطع النظر عن مبدأها و جاعلها الا العدم، فاما وجودها فهو نور من انوار الله المعنوية، و اثر من اثار مبدعها القيوم، و ليس لها تجدد وانقضاء، اذ ليس عند ربك صباح ولامساء، ولو كان كل موجود حادثاً فى زمان، لكان للزمان زمان اخر، فلزم هاهنا ازمنة لانهاية لها، و هذا بديهى البطلان.

الحكم الثانى: انها سيما العقول ابدية غير قابلة للفساد، لانها ليس من العالم، بل هى حقايق ما، عندالله، ولان حدوث عدمها كحدوث وجودها لوفرض، مفتقر الى مادة، ولان كل ما فيه قوة ان يبطل، و فعل ان يبقى، ففيه قوة ان يبقى ايضاً، فيتركب ذاته من جهتى القوة والفعل معاً.

الحكم الثالث: ان تفاوت الهويات العقلية والانيات النورية تفاوت بحسب الاشد والاضعف، مع اتفاق الجميع فى الحقيقة الوجودية، اذالوجود بما هو وجود حقيقة بسيطة نـوريـة خارجية، لايعرضها الكلية والنوعية والجنسية وغيرها من المعقولات الثانوية والمفهومات المنطقية، اذ ليس للوجود صورة ذهنية يطابقه، والا لكان للوجود وجوداً و ماهية، و هذا محال.

وقد اشرنا سابقا الى ان المفارقات كلها وجودات لاجنس لها ولافصل، لكونها بسيطة الحقيقة، وكل نوع متكثر الافراد لابدان يكون متعلق الوجود بالمادة و غواشيها، فما لامادة له لا شركة له مع غيره فى نوع، فكل ما وجوده وجود مفارق، ينحصر نوعه فى شخصه.

و اعلم ان الارواح البشرية والحيوانية بالنسبة الى ارواح الملائكة واملاك الافلاك، بل ملاكها و اربابها كـاجسادهم بالاضافـة الى اجساد الافلاك ولوانفتح لك باب معرفة الملائكة، لرأيت هذه الارواح الجزئية كسراج اقتبس من نار عظيمة طبقت العالم، وتلك النار العظيمة هى الروح الاخر من ارواح العالم، ولارواح الملائكة ترتيب، و كل واحد منها منفرد بمرتبته،

ولا يجتمع فى مرتبة واحد اثنان ، و شرح هذا طويل ، بخلاف الارواح البشرية المتكثرة حسب تكثر الابدان ، من اتحاد النوع والرتبة والاصل .

و اما الملائكة فكل واحد نوع برأسه ، و قد اشار القران الى هذاالمعنى فى غير موضع نحو قوله تعالى حكاية عن‌الملائكة : و ما منا الاله مقام معلوم[١٠٢] اى كل واحد منا لايتجاوز عن مقامنا المقدرلنا ، و نحو قوله : و انا لنحن الصافون[١٠٣] لتجرد وجودها عن‌الماهية فضلا عن‌المادة ، و قال صلى‌الله عليه واله فى شأنهم : فالراكع منهم لايسجد ، والقائم لايركع الى يوم‌القيامة ، و فى عبارة نهج‌البلاغة لسيد الموحدين على عليه‌السلام : فمنهم ركوع لايسجدون ، و سجود لايركعون ، و هذا الحديث تفسير قوله تعالى لابراهيم الخليل عليه‌السلام : وطهرابيتى للطائفين والقائمين والركع السجود[١٠٤] .

الحكم الرابع : انها علل للاجسام الفلكية فضلا عن العنصرية ، و اما النفوس فهى تسخرها بالتحريك ، فللنفوس نظران : نظر الى العلل[١٠٥] العقولية لاستمداد الفيض والرحمة منها ، ونظر الى الاجسام بالتحريك للاستكمال ، فهى يستفيض من ارباب وجودها ، و يفيض على هياكلها ، و للعقول نظر واحد الى مبدعها فقط ، لاينظرون الى انفسهم من حيث كونهم عبيداً له مقهورين تحت قهره و فى يد تصرفه و امره ، فضلا عن غيرهم ، بل عباد مكرمون ، و فى‌الخبر : ان لله عباداً ما نظروا الى الدنيا مذخلقهم، فالدنيا عالم الاجسام وهم لايلتفتون اليها ، و حقق من هذا صدق قول‌النبى صلى‌الله عليه واله : ان‌الله مذ خلق الدنيا ما نظر اليها ، لانه اذا كان‌له تعالى عباد مكرمون غير ملتفتين اليها لخبثها وطهارتهم ، فبان لايلتفت اليها خالقهم و مبدعهم مع كماله و نقصهم لكان اولى ، و لهذا قال صلى‌الله عليه واله : الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ماكان‌لله منها ، اى الا القدر الذى يعين على‌التوسل الى‌الحياة الباقية ، فان‌الدنيا مزرعة الاخرة .

الحكم الخامس : ان‌العقول كلها انوار صرفة ولاظلمة فيها اصلا، الا

١٠٢ــ صافات ١٦٤ ١٠٣ــ صافات ١٦٥
١٠٤ــ بقره ١٢٥ ١٠٥ــ العقل ن م

انها متفاوتة فی النور ، والنور السابق منها سبب و منشأ للنور اللاحق و غاية وكمال له ، وكل لاحق عكس للسابق ، لاتفهم هذه العلية والمعلولية بين هذه الجواهر الا بان تتصور فی نفسك مثالا من المحسوس ، و هو ان ضوء الشمس متی وقع علی القمر ، ثم ينعكس منه علی المراة ثم منها علی الماء ثم منه علی الجدار ، فهذه الانوار بعضها نور الشمس و بعضها عكسها و بعضها عكس عكسه و بعضها عكس عكس عكسه ، وهلم جراً الی اخر المراتب ، فكما ان النور اقوی و اشرق من عكسه ، فعكسه اقوی و اشرق من عكس عكسه، فالعقول والنفوس كلها انوار وعكوس، والاجسام الفلكية والعنصرية كلها ظلال ، و اشرف العقول و اشرقها هو العقل الاول ، والنور الاقرب الذی انبجس من بحر الجود ، و تنفس صبح نفس الرحمن من شمس الوجود، الذی هو نور الانوار و مفيض الاثار والاسرار ، و هو ينبوع النور ومشرق الظهور و ولی الامور ، واخرها عكس الكل ، و اوسطها نور بالنسبة الی عكسه الذی تحته ، و عكس بالنسبة الی نوره الذی فوقه ، فهذا هذا .

تنبيه تمثيلی

قد عرفت عالمی الملك والملكوت ، اللذين هما اثران من اثارانوار الجبروت ، و بحران من بحار اثار اللاهوت ، ولكن ما يستوی البحران ، هذا عذب فرات سائغ شرابه[١٠٦] ای بحر الروحانيات الذی هو زلال صاف واف ، ولشرب العقول والارواح كاف شاف ، اذ هو لب لاقشر فيه ولا حشو مادة ، و هذا ملح اجاج ، ای الذی هو زبد كدر جفاء و غثاء ، اذ هو قشر كله و مادة لالب فيه ، فالعذب لب الاجاج ، كما ان الاجاج قشر اللب ، فلهذا سمی العقل لبا ، و يجری من كل من البحرين نهران عظيمان ، اما من بحر الجسمانيات فجيحون العنصريات و سيحون الفلكيات ، و اما من بحر الروحانيات فنيل العقول العالية و فرات النفوس السافلة ، و هذه الانهار الاربعة تجری فی الجنة التی وعد المتقون ، و هی انهار من العيون الاربعة التی هی العلوم الاربعة ، المنطقيات و هی الماء الغير الاسن، والرياضيات

١٠٦ــ فاطر ١٢

و هی انهار من لبن لم يتغير طعمه ، والطبيعيات و هی انهار من خمر لـذة للشاربين ، والالهيات و هی انهار من عسل مصفى ، لانه صفى عن شمع القشر، اذالالهيات لباب العلوم ،كما ان الاله لب الوجود ، ولكل من البحرين سفينة ولهاراكب[١٠٧] .

اما راكب بحر المعقولات فهوالعقل ، و سفينته القوة النظرية الفكرية، و اما راكب بحر المحسوسات فهو الوهم ، و سفينته القوة المتخيلة ، فقد مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان[١٠٨] والبرزخ هوالحايل بين الشيئين وهوالخيال ، فانه كالجبل الحايل بين عالم المعقول و عالم المحسوس ، ولولاه ما منع موسى بن عمران عن رؤية الحق ، و غـاية هـذه السباحـة والسياحة ، و هذا السفر فى البر والبحر هـوالتولـى شطر كعبة المقصود ، والتوجه الى ولى الخير والجود ، و حاصل هذه التجارة التى لن تبور هو بذل متاع هذا الوجه الفانى ، و اخذ العوض من الوجه الباقى ، فما عندالله خير للابرار[١٠٩] و هذا الوصول الى كعبة المقصود وجهة المأمول ، لايمكن الا بالسير الحثيث العلمى الباطنى بقدم التفكر والتدبر ، لابمجرد حركـات البدن ، التى لايوجب الا متاعب السفر ، دون تحصيل الزاد والمتاع للمعاد ، نعم : الفائدة فى العمل البدنى والفكرى ، هى تصفية المراة وازالة الخبث و هى امر عدمى ، و انما المطلوب المقصود هو صورة وجه الوجود ، و من عمل بما علم ، ورثه الله علم مالايعلم ، والعمل بالمعلوم هوالتفكر فيه ، بتمرين القلب و تخميره و تليينه و تخشيعه و تخضيعه مرة بعد اخرى و كرة بعد اولى، حتى يزيد للنفس جلاء وضياء و اشراقاً و اعتباراً و نوراً واستبصاراً ، و لهذا قال صلى الله عليه واله : تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة لم يتفكر فيهـا ، و مثله قوله تعالى : ليلة القدر خير من الف شهر[١١٠] اى ينتهز فيها نظرة الى

١٠٧ـ هذه الفقرة تفصيل و تأويل لاية ١٥ من سورة محمد : مثل الجنة التى وعدالمتقون ، فيها انهار من ماء غير اسن و انهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى .

١٠٨ـ رحمن ١٩ و ٢٠

١٠٩ـ آل عمران ١٩٨

١١٠ـ قدر ٣

صورة المعشوق ، الذ من صرف العمر مدة مديدة فى التردد فى ساحة داره ، و قال صلى الله عليه و اله : لباب مدينة علمه : يا على ، اذا تقرب الناس الى خالقهم بانواع البر، تقرب اليه بانواع العقل تسبقهم ، يعنى اذا عنى الناس انفسهم فى تكثير الخيرات البدنية ، فانت عن نفسك فى تكثير العلوم حتى تسبقهم كلهم .

قال ابو على بن سينا : و هذا الخطاب منه صلى الله عليه و اله انما يليق و يستقيم لعظيم كريم مثل على العالى عليه السلام حيث كان بين الناس كالمعقول بين المحسوس، فتحدس من هذا ان المقصود من العبادات الشرعية و الاحكام، كالقيام و الصيام و ساير الاوضاع الدينية انما هو الفكر فيها ، من حيث انها تعبد للمعبود الحق ، و قربان للاله المطلق ، لا حركة الاركان و لقلقة اللسان، لان الله غنى عن حركات الناسكين ، كما انه برىء عن اعتقادات المشركين ، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم[١١١] ليس البر بان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر[١١٢] وافسد مفاسد هؤلاء العميان تصور خيالات اولياء الشيطان ، كما زعم بعض اصحاب الخلوات ، يقعدون فيها و يلعبون من وراء سجف الخيال، بلعب صور خيالات الاشكال و يستعبدون بخيالات سحرة اوهام اهل الضلال، و يمثلون تماثيل اصنام العاكفين على باب الاجسام وعتبة عـالـم الظلام ، معتقدين انها مثل الحقايق الالهية والصور المفارقة النورانية ، من الله و ملائكته و كتبه و رسله ، و توهمون المريدين المردودين ، الذين هم مردة الشياطين ان ما يخيله الانبياء عليهم السلام من تصوير حقايق الاشياء كان من امثال ماشاهدوه و تخيلوه رجماً بالظن ، ان بعض الظن اثم ، و هذا الظن كل الاثم و كله اثم ، بل هم فى شك يلعبون[١١٣] حيث غفلوا عن لوم ابراهيم عليه السلام على عبدة الاصنام بقوله: ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون[١١٤] بل دعا ربه ان يجنبه و بنيه عن عبادة الاصنام فى قوله : واجنبنى و بنى ان

١١١ــ حج ٣٧ ١١٢ــ بقره ١٧٧
١١٣ــ دخان ٩ ١١٤ــ انبياء ٥٢

نعبدالاصنام ، رب انهن اضللن كثيرا من الناس[١١٥] .

و معلوم ان ابراهيم وان كان راعى غنم ماكان عابد صنم ، لامن التى صنعتها ايدى الخلق من مادة الذهب والفضة اوالخشب ، ولامن التى ابدعها قدرة الخالق بيديه ، كالهياكل الكواكب بلامادة ، كما هو شأن عبدةالاصنام و سجدة الكواكب والاجرام العظام ، بل كان يتوارد عليه صور وهمية على لوح خياله لاحقايق لها ، من اعمال وساوس الشيطان ، المشوشة للاذهان ، المغلظة لاكثرالناس ، بل للخواص والاكياس ، الا من رأى برهان ربه ، كما قال : رب انهن اضللن كثيرا من الناس[١١٦] و لقوله تعالى : ما ارسلنا قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلـــوبهم و ان الظالمين لفى شقاق بيد[١١٧] .

و لما اتاه الحجج والبينات ، و ارتفع عن الخلق بكثير الدرجات ، كما قال تعالى و تلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم[١١٨] قال لابيه و قومه : يا ابت انى قدجائنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا ، ياابت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا[١١٩] و لما زالت هذه الحالة عن سيدنا عليه واله السلام تبجح به تبججا[١٢٠] فقال : اسلم شيطانى على يدى ، فلا يأمرنى الا بخير ، فالضالون المكذبون لا كلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون[١٢١] و هى شجرة المتخيلة التى طلعها كأنه رؤس الشياطين [١٢٢] فمالئون بطون نفوسهم الخبيثة من ثمراتها و محصولاتها ، التى لا تسمن ولا تغنى من جوع الجهل و عطش ، فيضلون عن سبيل الحق و يضلون مريديهم بانواع الحيل والايهامات ، لوصولهم الى اعلى المقامات ، التى هى مقام المعجزات والكرامات ، وشتان

١١٥ــ ابراهيم ٣٥و٣٦
١١٦ــ ابراهيم ٣٦
١١٧ــ حج ٥٢و٥٣
١١٨ــ انعام ٨٤
١١٩ــ مريم ٤٣ و ٤٤
١٢٠ــ تبجح بتقديم الجيم على الحاء اى فرح
١٢١ــ واقعه ٥١ و ٥٢
١٢٢ــ صافات ٦٥

مابين دعابة شيطان الخيال و نهاية وجدان ارباب الكمال .

المشهد السابع

فى ذكر اسباب الموجبة للكرامات والمعجزات و خوارق العادات

واعلم ان الاسباب الموجبة لهذه الاثار ثلاثة ، صفاء فى النفس ، و قوة فى العقل النظرى بالغة الى حد الكمال ، وضعف فى سلطان المتخيلة .

اما الاول فهو ان النفس من سنخ الملكوت كمادريت ، والملكوتيون علل بالطبع لما يجرى فى عالمنا من الاكوان والصور الحادثة ، فالحوادث الارضية منقادة لها طوعا و كرهاً ، فالنفس التى هى شعلة منها تؤثر مثل تأثيرها على حسب طاقتها ، لان الشعلة من النار يفعل فى الاحراق مثل فعلها ولكن على قدر قوتها ، واول اثر من اثاره يظهر فى مملكته الخاصة وهى بدنه ، فان القوى كلها مسخرة تحت يده و تصرفه ، و هذه الحالة تجدها كل نفس فى ذاتها وجدانا ضرورياً ، حيث خلقت قوى البدن مجبولة على طاعتها ، مفطورة على خدمتها ، لا تستطيع لها خلافاً ولا عليها تمرداً ، فاذا امرت القوة الشهوية باحضار مشتهاها احضرته ، و اذا امرت القوة الغضبية لدفع ما يؤلمها دفعته ، هذا تأثيرها فى ملكوت القوى .

و اما تأثيرها و سلطانها على مملكة الاعضاء : فاذا امرت العين للانفتاح انفتحت ، و اذا امرت اليد للانقباض انقبضت حتى قبضت ، فاذا امرت الرجل للحركة تحركت ، و اذا امرت اللسان بالكلام و جزمت الحكم به تكلم ، و هكذا ساير القوى والاعضاء ، التى مسخرة لها تسخير الملك والملكوت لخالق الارض والسماء ، لايستطيعون لها خلافاً و تمرداً ، لايعصون الله ما امرهم و يفعلون مايؤمرون[١٢٣] .

و اذا كان هذا واقعاً ، فمن الجايز القريب الوقوع ان يقع نفس كبيرة خبيرة بالاحوال الغايبة الخارجة عن مملكتها ، بل علية قوية على تدبير مملكة اطول واعرض منها ، فيستوعب سلطان تسخيرها و تدبيرها لغير بدنها ، بل تصير جملة العالم الارضى كبدنها ، فيتعدى نفوذ سلطنتها الى هيولى عالم الكون

١٢٣ــ تحريم ٦

والفساد فيطيعها ، كما كانت مطيعة للنفوس العالية تارة بالتسخين فتلبسها صورة النار ، و مرة بالتبريد فتلبسها صورة الماء ، و دفعة بالتبييس ، فيكسوها صورة الارض ، و اخرى بالترطيب ، فيعطيها صورة الهواء كما انقلب نار ابراهيم عليه‌السلام بامر خالقها لقوله تعالى : يا نار كونى برداً و سلاما على ابراهيم [١٢٤] و هذا المقام يسميه الصوفية مقام كن ، كما قال تعالى فى الحديث القدسى : يابن ادم خلقتك للبقاء ، و انا حى لاأموت ، اطعنى فيما امرتك ، و انته عما نهيتك، اجعلك مثلى حيالاتموت، انا الذى اقول لشىء كن، فيكون، و جميع الاكوان الثلاثة [١٢٥] فى هذا العالم من تصورات المبادى الروحانية والنفوس العالية ، بل من الجايز الواقع وجود نفس علية جلية يتعدى حكمها الى فلق اليم ، و الى التصرف لعالم الافلاك بالخرق واللم ، والشق والضم [١٢٦] على ما يعرفه اهل الحق .

و نقول من الرأس : ان النفوس منقسمة الى عالية نافذة الحكم فى اعظم الاجرام، والى سافلة نافذة الحكم فى اصغرها واحقرها، كنفس النملة والذرة المدبرة لجرمها ، و الى ماهو متوسطة بينهما ، كنفوس الحيوانات الكاملة، ثم النفوس السفلية ينقسم الى ناطقة و غير ناطقة ، ثم الناطقة ينقسم الى ماهو فى غاية الشرف والعلو و الاشراق ، والى ما هو فى غاية الكدورة والخسة ، و بينهما اوساط لايحصى متفاوتة فى العلووالسفالة ، و غير الناطقة ايضاً متفاوتة تفاوتا كثيرا بين اعلاها التى تلى ادنى النواطق ، و ادناها التى تلى الطف الاجرام ، مراتب متفاوتة لا يعد ولايحصى ، و هذا كما ان المعدنيات والارضيات تنقسم الى صورة شريفة فى جنسها غاية الشرف كالياقوت مثلا، والى خسيس بالغ فى الخسة كالنفط والقطران [١٢٧] والى متوسطات ، والجرم متى كان اصفى و انور، كان احكم وابقى ، و متى كان اظلم واكدر كان افنى، كما دريت فى السموات والارضيات .

اولا ترى ان الياقوت والذهب لكونها اصفى وابسط ، خرجا من النار

١٢٤ـ انبياء ٦٩ — ١٢٥ـ الناشية ن م ل

١٢٦ـ الصم ن م ل

١٢٧ـ اى سيال دهنى يتخذ من النفط ، الزفت و بالفارسية : قير

ابردو اسلم ، كما كان جرم ابراهيم عليه السلام حيث خرج من النار برداً و سلاماً ، لكونه سليم القلب عن نار الشهوة و لهب الغضب ، بخلاف حال المجرمين المقرنين فى الاصفاد ، سرابيلهم من قطران و تغشى وجوههم النار[۱۲۸] و اذا عرفت هذا فى الاجرام فاعرف مثله فى النفوس ، بل الوجود كله منقسم الى الاشد والاضعف ، اقساماً غير متناهية بالقوة او بالفعل ، و هذه الخاصية لجوهر النفس ، الموجبة للاثار الغريبة والاحوال العجيبة، المخالفة للعادات المألوفة ، ليست مكسوبة من اختيار الخليقة ، بل من المواهب الربانية ، فلهذا اخطأ من ظن ان النبوة كسبية ، بل عطائية موهبية، كما قال لسان العرفاء ، ناظم جوهر الاولياء :

دولت آنست كه بى‌خون دل آيد به كنار

ورنه با سعى وعمل باغ‌جنان اين‌همه نيست

و لذلك قال سيد الخلق صلى الله عليه واله : انا سيد ولد ادم ولا فخر، اذ الفخر بالكسبيات الاختيارية ، لا بالموهبيات الاضطرارية .

السبب الثانى الموجب لخوارق العوايد هو القوة النظرية ، و هى ايضاً منقسمة الى بالغة حد الكمال ، و ناقصة فيه ، والبالغة تنقسم الى مايحتاج الى تعليم بشرى كما هو اكثر ، و هم منقسمون الى ما يتعلم سريعاً ، والى ما يتعلم بطيئاً على مراتب غير محدودة ، و الى ما هو غير محتاج الى تعليم بشرى ، بل يفهم الاشارات الفايضة من الجنبة العالية الشريفة والعتبة المنيفة ، كما قال: يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار[۱۲۹] اى معلم من نوع البشر، ولابد لنوع الانسان من شخص هذا شأنه ، اذ لو افتقر كل واحد منهم الى معلم بشرى ، لتسلسل الامر الى ما لايقف ، فلايحصل علم ما فيمابين الخليقة البشرية ، اذا الموقوف على ما لايتناهى من الاشخاص لا يدخل فى دايرة الوجود ، فلابد اذن من شخص يستبد بفهم الاشارات باطن نفسه ، و هو عقل من العقول الزاهرات ، اما دفعة واحدة كما قال النبى صلى الله عليه واله : رأيت ربى فى احسن صورة ، فقال يا محمد : فيم يختصم الملاء الاعلى ؟ فقلت : انا ما اعلم يارب ، فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى ، فعرفت مابين السماء

۱۲۸ـ ابراهيم ۴۹ و ۵۰ ۱۲۹ـ نور ۳۵

والارض ، و ذلك انما يكون بجذبة روحانية توازى عمل الثقلين ، فطوى صلى‌الله عليه واله بساط الكونين و بلغ قاب قوسين ، فوقع فى قلبه المنور بنور ربه بحصول لحظة واحدة لعين عقله المقدس الى الحدود الوسطى بين سلسلة الوجود من لدنه الى اول الازل ، فيصب فى صدره و ينفث فى روعه علم ماكان و علم مابقى الى يوم القيامة ، مثل ما علم ادم الاسماء كلها ، و مثل ما قال صلى‌الله عليه واله : زويت لى الارض كلها ، فاريت مشارقها و مغاربها، يعنى ارض الوجود ، و هى ارض‌الله الواسعة التى هـو وامته مـأمورون بالمهاجرة فيها الى ذات المعبود ، و اما على تعاقب الازمنة والاوقات ، فيقع التنزيل والانزال على حسب المصالح والمناهج ، كما قال تعالى : نزل به الروح الامين على قلبك[١٣٠] وقوله: قل نزله روح‌القدس من‌ربك بالحق[١٣١] رداً على من قال : انما يعلمه بشر[١٣٢] و على من قال : انما انت مفتر[١٣٣] و من قال : اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا[١٣٤] و قال تعالى ردا عليهم: وما ينطق عن‌الهوى ان‌هوالاوحى يوحى‌علمه شديد القوى ذومرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى[١٣٥] وابلغ من هذا فى‌الردعليهم من‌القول بالتعليم‌البشرى، حيث اسند التعليم الى ذاته بلاواسطة روح‌القدس ، قوله تعالى : فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى[١٣٦] و قوله : قل انزله الذى يعلم السر فى‌السموات والارض[١٣٧] اى كل العلوم فايض منه بلاوسيلة احد من الخليقة، و هاهنا ضلت الجهلة والارذال ، و اهل الاباحة ، حيث قالوا : لابد لكل احد فى معرفة الصانع و ملكوته الى هاد مرشد و شيخ قايد يقوده[١٣٨] اليه ، هذا غاية غوايتهم تمثلت بصورة الهداية ؛ و كمال ضلالتهم تخيلت بخيال الرشد والدراية ، ذلك مبلغهم من‌العلم[١٣٩] ان يتبعون الا الظن و ما تهوى الانفس[١٤٠] فكم من ملك

١٣٠ـ شعراء ١٩٣
١٣١ـ نحل ١٠٢
١٣٢ـ نحل ١٠٣
١٣٣ـ نحل ١٠١
١٣٤ـ فرقان ٥
١٣٥ـ نجم ٣ الى ٩
١٣٦ـ نجم ١٠ و ١١
١٣٧ـ فرقان ٦
١٣٨ـ يقودنا ن م ل
١٣٩ـ نجم ٣٠
١٤٠ـ نجم ٢٣

فی السموات لاتغنی شفاعتهم شیئاً[١٤١] فکیف شفاعة الشیخ الکبیر والمعلم الضریر ، لعمرك ما هذا الا کقول من یقول : انما یعلمه بشر[١٤٢] و کقول من یقول : اساطیر الاولین اکتتبها و هی تملی علیه[١٤٣] شیخهم کبیر، ولکن کبئر معطلة ، و هو القلب الاسود کالبئر المظلم الخالی عن نورالحق ، و اما القصر المشید فنقیضه، وهوالقلب المؤمن المشید بالمعارف الحقة الحقیقیة، سالکهم هالك ، و دلیلهم ذلیل ، و قایدهم باید ، یقودهم شیخ هم[١٤٤] کمن یقوده اعمی فی لیل مدلهم : شعر

اذا کان الغراب دلیل قوم فمسلکهم طریق الهالکینا

و اما النفوس الناقصة فی القوة النظریة ، فینقسم الی مالایعقل اصلا، لهم قلوب لایفقهون[١٤٥] لقساوة قلبه ورین طبعه ، کالحجارة او اشد قسوة ، و ان من الحجارة لما یتفجر منه الانهار[١٤٦] و هذا الانسان قرین الحجارة التی هی وقود النار الکبری ، التی وقودها الناس والحجارة ، و هذا بازاء الذی یکاد زیته یضیء بلا مساس من نار ، اذ هو کالمراة المجلوة یتجلی فیها جلایا الحقایق کلها ، کما ینطبع الصور المحسوسة فی المراة ، و تلك المراة المجلوة هو الجام المسمی عند عظماء الفرس و اهل الاشراق بجهان نما ، اذ یطلع بها علی هیئة الوجود کله ، مطالعة من نفسه ، کما اشار الیه عمرالخیام: شعر :

در جستن جام جم جهان پیمـودم
روزی ننشستم و دمـی نغنـودم
ز استاد چو وصف جام جم بشنودم
خود جام جهان نمای[١٤٧] عالم بودم

والی ما یعقل ولکن بصعوبة ومشقة، بل نری من المتعلمین ما یزجی[١٤٨]

١٤١ــ نجم ٢٦
١٤٢ــ نحل ١٠٣
١٤٣ــ فرقان ٥
١٤٤ــ ای النحیف والرقیق
١٤٥ــ اعراف ١٧٩
١٤٦ــ بقره ٧٤
١٤٧ــ و من جم ن م ، جم من ن ل
١٤٨ــ ای یکتفی ،کیف تزجی ایامك ای کیف تدفعها

طول عمره فى البحث والتكرار اناء الليل واطراف النهار ، ثم يرجع بخفى حنين ، مطرحاً للعار والشين و هم المذكورون فى قوله تعالى : قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا[١٤٩] و هذه الصعوبة على مراتب غير محصورة ، حسب تفاوت النفوس فى جمود الفطرة و خمود نار الطبيعة و تبلد الذهن و غشاوة البصيرة و قساوة القلب ، بعضها كمثل الحمار يحمل اسفارا[١٥٠] و بعضها كالانعام بل هم اضل[١٥١] و بعضها كالموتى و بعضها صم بكم عمى فهم لايعقلون[١٥٢] انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء[١٥٣] و بعضها كالحجارة او اشد قسوة[١٥٤] و بعضها كالخشب المسندة[١٥٥] .

السبب الثالث الموجب لخوارق المعهودات هى القوة المتخيلة ، و هى منقسمة الى قوة عاصية والى قوة عاجزة مطيعة على مراتب غير محصورة ، والى قوة متوسطة بين القسمين ، فالاول كما للعوام حيث قال تعالى : افمن زين له سوء عمله فراه حسنا[١٥٦] هى التى تزين قباح صور المحسوسات الفانية على حسان صور المعقولات الباقية ، و اما الثانى فكما للنبى صلى الله عليه واله حيث يحس صور السوانح الغيبية كما هى عليها بلاخبط و تفريق ، و مثل التماثيل الاخروية بلاخلط و تزويق ، حتى قال صلى الله عليه واله : اسلم شيطانى على يدى ، و اما المتوسطة فكما كان لموسى عليه السلام حيث كانت مانعة من الرؤية فقط ، و معينة له على تحصيل ماسواه من الحقايق ، و لكونها مسلمة على يد سيدنا صلى الله عليه واله ، كافرة عاصية على من سواه ، جائت فى القران ملقبة بالشجرة الملعونة فى القران ، خص لعنه و طرده على لسان القران دون ماعداه من كتب الله المنزلة ، كأنه اشعر بانها لطردها و لعنها اسلم ، ولو طرد فى غيره من الكتب لاسلم و اطاع كلمات الله و ما تمرد عليها ، و قوة هذه القوة وضعفها قديكون فطرية ، و قديتأتى بالكسب ، اذهى جرمانية

١٤٩ــ كهف ١٠٣و١٠٤
١٥٠ــ جمعه ٥
١٥١ــ اعراف ١٧٩
١٥٢ــ بقره ١٧١
١٥٣ــ نمل ٨٠
١٥٤ــ بقره ٧٤
١٥٥ــ منافقون ٤
١٥٦ــ فاطر ٨

قابلة للذبول والانحلال بتقليل الطعام والشراب، وتكثير السهر والاضطراب، و رفض الدعة وترك الرفاهية، كما اشار اليه صلى الله عليه واله لبعض ازواجه: ان الشيطان ليجرى بابن ادم مجرى الدم، الافضيقى مجاريها بالجوع والعطش قال الجنيد: الجوع طعام الله فى الارض، وقال غيره: الجوع سحاب لايمطر الا الحكمة، و لذلك اعتادت الصوفية القعود فى الخلوات، وارتاضت نفوسهم بالمجاهدات، رياضة للجسد و قواه، و ذبحا لشموس[١٥٧] النفس الشهوانى، و نحر الجمل الحقود الغضبى، تقرباً بقرابينها الى قربة المشاهدة والمواجهة و رتبتى المكالمة والمشافهة.

و من هاهنا زعمت الضعفاء ان النبوة كسبية، فالخاصية الاولى موهوبة، والباقيتان موكولتان الى قدر الخليقة بمعاونة الحق.

وهذه الخواص الثلاث كلها قد اوتيت لمحمد صلى الله عليه واله، كما وقعت الاشارة اليه فى القران، اما صفاء جوهر النفس فلقوله تعالى: انا اعطيناك الكوثر[١٥٨] و اما كمال القوة النظرية فلقوله: فصل لربك[١٥٩] و هل الصلوة الا طلب القربة الى الله زلفى والعروج اليه بالمناجاة و المكالمة، و اما تسخير القوة الحيوانية فلقوله: وانحر[١٦٠] اشارة الى ذبح جموح النفس الشهوى والغضبى، حتى لايكون معاوقة ممانعة.

والحاصل ان النفس الناطقة الانسانية من سنخ الملكوت و جوهر اللاهوت، متى تشبهت بتلك المبادى و تخلقت باخلاق الله فى وصفى العلم والعمل، يفعل فعلها وان كان انقص منه، وهذا كالحديدة الحامية والزجاجة المملوة الصافية، فالاولى يفعل فعل النار، من الاشراق والاحراق والحرارة و النورية، لاتصافها بصفتها، بل لتصورها بصورتها المحرقة المضيئة، والثانية يتلون بلون الخمر المصبوب فيها، لخلوها عن صفة تضاد، صفة مالها، كما يحى البدن بنفخ الروح المنفوخ فيه، كما قيل شعر:

رق الزجاج و رقت الخمر فتشابها و تشاكل الامر
فكأنه خمر و لا قدح و كأنه قدح ولا خمر

١٥٧ـ اى النفور من الدواب الذى لايستقر لشغبه وحدته، وقد توصف به الناقة.

١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ ـ كوثر ١ و ٢ و ٣

و كما قيل شعر :

انا من اهوى و من اهوى انــا　　نحن روحــان حللنــا بدنــا

ولا تتعجب من عناية الخالق الرازق حيث يرزق من يشاء بغير حساب

المشهد الثامن

فى وجوب البعثة

و اما الكشف عن ماهية النبوة و سر وجوب البعثة فاسمع واعقل : انه قداتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكور[١٦١] و مضت عليه برهة من الزمان ماكان امرا مشهورا ، ودعوى حدوث الانسان غنية[١٦٢] عن البرهان، لان البدن المخلوق عن النطفة الكاينة من الطين اللازب ، المخمر بيدالقدرة اربعين صباحا ، كيف يكون قديما غير مسبوق بزمان ، فلابد له من زمان سابق عليه لم يكن موجوداً فيه ، بل ولا معلوما مذكوراً ، و ليس هذا مبالغة زايدة على الحقيقة فى اثبات حدوث الانسان كما ظن ، بل نحو وجودالشىء الزمانى المتجدد لايكون قبل زمانه ، فلايعلم هذا النحو بالعلم الحضورى الاحين وجوده ، واليه الاشارة فى قوله تعالى : ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا[١٦٣] تنبيهاً على هلاكهم و عدمهم من دارالقدس ، ثم بعد مرورالشهور و كرور الدهور ، خلق من نطفة امشاج حاصلة على اوسط مزاج ، و هذه‌المدة و ماوقع فيها من الاستحالات والتجددات حسب ارادة‌الله و مشيته فى خلق الانسان، سماها القران تعديلا و تسوية فى قوله تعالى : يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسويك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك[١٦٤] ثــم بعدالتعديل والتسوية افاضت عليه انوار الحواس بواسطة تسليط الحرارة الغريزية على الرطوبة الغريزية لاعداد الادخنة اللطيفة ، و اصعاد الارواح الهوائية منها ، لتتشبث بها النفس الناطقة ، و هى بها تشبث النار، بل نورها بالفتيلة الدخانية ، فينجذب كل منهما الى صاحبه انجذاب الحديد الى مغناطيس ، و

١٦١ــ دهر ١　　١٦٢ــ غايته ن م ل

١٦٣ــ اعراف ٥١　　١٦٤ــ انفطار ٦ الى ٨

انجلاب عاشق الى معشوق ،كما قال : فجعلناه سميعا بصيرا[١٦٥] خصهما بالذكر من بين‌سائر الحواس، لحصولهما فى الحيوانات الكاملة، وهما الطف‌الحواس، و بهماتمام النفس الحساسة من‌الحيوان ، و بعدها النفس المتخيلة ، ثم‌النفس العاقلة .

فالاشارة الى‌النفس المتخيلة قوله : انا هديناه السبيل[١٦٦] اى‌سبيل الخير والشر، اى المعقول والمحسوس ، والاشارة الى‌العاقلة قوله : اما شاكرا و اما كفورا[١٦٧] واليها الاشارة فى قوله : ثم انشأناه خلقاً اخر، فتبارك‌الله احسن‌الخالقين[١٦٨] فبعد ما اشتعلت القوة النفسانية فى مشكوة الحواس اشتعالا تاما ، والتهبت لشدة صفاء زيتها فى فتيلتها التهابا قوياً ، انفتحت بصيرته، فرأى العالم المحسوس والسموات والارض و ما بينهما ، تشاهد حقاقاً[١٦٩] تسعة نيلية ، مع كواكب ليلية و نهارية ، مكللة قبابها ، مسدولة جلبابها ، مسدودة ابوابها ، امثال الطاسات المقببة والكاسات‌المعلقة الغير المثقبة ، ولم يرفى هذه الدار دياراً سوى هذه الدايرات السايرات ، فتحير وانشد : شعر :

مائيم در اين گنبد فيروزه اساس
جويندهٔ رخنه‌اى چو مور اندر طاس
آگاه نه از منزل اميد و هراس
سرگشته وچشم بسته چون‌گاو خراس

حيث ما رأى فى هذه الخلقة[١٧٠] المشعبدة و فى هذا البساط الذى يتحرك عليه الصور الدائرة الذاهبة الجائية ، التى تطلع و تغرب على وتيرة واحدة ، من غيران يعلم فيها اثرالحياة و تفنن الارادات والشهوات ، الا قرباً و بعداً بين هذه‌الحقايق[١٧١] الذهبية والفضية والنحاسية والاسربية و غيرها ، تارة بالتثليث ، واخرى بالتربيع ، وطوراً بالتسديس والمقابلة ، و

١٦٥ــ دهر ٢ ١٦٦ــ دهر ٣
١٦٧ــ دهر ٣ ١٦٨ــ مؤمنون ١٤
١٦٩ــ حق‌الوعاء ، حقاق : الوثاات ، اى العوالم .
١٧٠ــ الحلقة ن ل ١٧١ــ الحقايق ن م

دفعة بالاحتراق والمقارنة، ثم دهش ذهنه و اضطرب منشداً

ما لعبتکانیم و فلك لعبت‌باز
از روی حقیقتی نه از روی مجاز
بازیچه همی‌کنیم بر نطع وجود
گردیم به صندوق عدم یك یك باز

ولم يعلم ان هذه‌الصور مربوطة بخيوط دقيقة لايرى لدقتها باكثر الانظار، بيد مدبر حكيم و مشعبد[١٧٢] عليم يحركها كيف يريد و يقبلها كيف يشاء، فاحال لجهله بالمدبر الصانع هذه الكاينات والحوادث المصنوعات، الى الدهر والطبيعة المصنوعة، قائلاكما حكى‌الله عنهم: و ما يهلكنا الا الدهر[١٧٣] فجحد المدبر الحكيم القدير، والصانع العليم‌الخبير، و عبدالطاغوت، و جعل الهه هواه، فلما انفتحت بصيرته قليلا، و تأمل تأملاكليلا، تحدس ان هذه المتغيرات الجارية على وجه‌الدهر، والكاينات المتجددة على بسيط الهيولى، لايتكون الا عن مكون غير متكون، و من مغير غير متغير بوجه من‌الوجوه، فاعترف بذنوبه و عثر على عيوبه، فاستغفر وتاب واقرو اناب فقال: ربنا ظلمنا انفسنا و ان لم تغفرلنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين[١٧٤] فتيقن علماً بالمبدأ الدائم والقيوم الثابت القائم، لكن تحير بعد فى حال المعاد، و اضطرب فكره فى مال العباد، بل صرح بنفيه، حيث درى ان الانسان متكون من‌المزاج الحاصل بين الاضداد، فمهما فسد فلا يرجى‌له العود الى المعاد، سيما عند من رأى استحالة‌المعدوم رأساً، ثم اى فايدة له ولغيره فى الابتداء حتى يعاد فى الانتهاء، فقال:

ز آوردن من نبود گردون را سود
وز بردن من جاه و جمالش نفزود[١٧٥]
وز هیچ‌کسی نیز دو گوشم نشنود
کاوردن و بردن من از بهرچه بود؟

١٧٢ـ اى مصور
١٧٣ـ جاثيه ٢٤
١٧٤ـ اعراف ٢٣
١٧٥ـ جلال وجاهش (رباعيات خيام)

كما حكى الله عنهم بقوله : ما هى الاحيوتنا الدنيا نموت و نحيى[١٧٦] مثل العشب والمرعى ، فلهذا السبب انكر النبوة المنذرة بالبعث و فوايدها ، و اصر صريحاً على منع نشر موايدها ، وطى بساط الشريعة ، و فايدة التكليف والبعثة ، و جزاء الحسنات والسيئات، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم[١٧٧] .

و على هذه الطريقة جرى برهمان الهندى و تابعوه ، و عليها جرت الصابية خصوم الخليل عليه السلام على ما حكى الله فى مواضع جمة من كتابه : ابشر يهدوننا[١٧٨] ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم[١٧٩] يأكل مما تأكلون منه و يشرب مما تشربون[١٨٠] و مدار انكارهم و استنكارهم، و مبنى اصرارهم و استكبارهم على حرف واحد ، وهو ما حكى الله عنهم فى قوله : ما انتم الا بشر مثلنا ، و ما انزل الرحمن من شىء[١٨١] و قوله : ما منع الناس ان يؤمنوا اذجائهم الهدى ، الا ان قالوا ابعث الله بشراً رسولا[١٨٢] عنوا به ان البشر لايصلح للرسالة ، لان افراده مشتركة فى الماهية ، متماثلة فى الطبيعة النوعية ، فمن المحال ان يختص بعضه بخاصية دون اخر، فاما ان يكون كلهم انبياء ، و هذا محال ، لانه يؤدى الى عدم النبوة ، او لايكون واحد منهم نبيا ، و كلاهما مطلوبهم ، فهذه حجتهم الداحضة ، و غاية افكارهم الغامضة ، الا انها واهنة الاساس اوهن من بيت العنكبوت : فان افراد الناس و ان كان بحسب الفطرة الاولى متماثلة ، كما فى قوله : انما انا بشر مثلكم[١٨٣] الا انها بعد مزاولة الاعمال و مباشرة الافعال ، وحصول الملكات والاخلاق والحسنات المحسنات والسيئات المقبحات ، يصير بحسب الفطرة الثانية متخالفة الحقيقة ، فاين الروح المحمدية النورية العلمية ، والنفس اللهبية النارية الجهلية ، التى لابى لهب وابى جهل ؟ هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون[١٨٤] ؟ والى هذا التفاوت فى النفوس قال عزوجل : الله اعلم

١٧٦ـ جاثيه ٢٤
١٧٧ـ غافر ١٧
١٧٨ـ تغابن ٦
١٧٩ـ مؤمنون ٢٤
١٨٠ـ مؤمنون ٣٣
١٨١ـ يس ١٥
١٨٢ـ اسراء ٩٤
١٨٣ـ فصلت ٦
١٨٤ـ زمر ٩

حيث يجعل رسالته[١٨٥] اى نوع البشر، و ان كانت افراده متماثلة ، الا ان لبعض النفوس مقداراً عندالله لاتفهمونه .

بل نقول : لابد للنبوة من جهتين : احديهما نظرا الى عناية الخالق الذى له الخلق والامر، فان من لم يهمل اخمص القدمين دون التقعير مع قلة نفعه ، بل تكميلا للزينة ، و من لم يضع تقويس الحاجبين الا موتراً بوتراهداب العيون و تسويد اشعارها مع حقارة فوايدها ، فبان لايسوغ الضنة بافاضة النبوة على روح من الارواح البشرية مع كونه رحمة للعالمين كان احرى و اولى .

والثانية نظراً الى حاجة الخلق ، لان فى العالم الصغير الذى هو الهيكل الانسى، متى لم يكن رئيس مطاع لقواه يستوى كل واحد منها على مكانه ، لخرب سريعا ، حيث اصبح كل منها مطاعا مطيعا ، بل لابد للكل من امير واحد ، ينتهون بزجره ، و يأتمرون بامره ، ما اتيكم الرسول فخذوه و ما نهيكم عنه فانتهوا[١٨٦] .

و اذا كان امر العالم الصغير لايتم ولايتمشى دون امير قاهر ، فما ظنك بعالم العناصر ، المثار لاثارالفتن المكمن لانواع المحن ، فلابد للخلق من الهداية الى كيفية تحصيل المصالح و جلب المناجح[١٨٧] حتى يتم العناية الازلية ،كما قال الله تعالى حكاية عن افاضل الانبياء والرسل عليهم السلام ، حيث اطبقوا على هذه الكلمة و هى العناية ، فان الخلق دون الهداية تعطيل و اهمال ، والهداية دون الخلق مستحيل و محال ، فلابد من مجموعهما و يسمى عناية ، قال ابراهيم عليه السلام : الذى خلقنى فهو يهدين[١٨٨] ذكر عناية خاصه به ، لانه كان اول اساس بيت الملة ، و قال موسى عليه السلام : الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى[١٨٩] ذكر عناية عامة ، حيث حكم بقضية حملية كلية ، لانه قد تم حيطانه دون سقفه ، فان الصلوة التى هى عمادالدين ما قامت عموداً حتى يستوى عرشه عليه ، و قال سيدنا صلى الله عليه واله : الذى خلق

١٨٥ــ انعام ١٢٤
١٨٦ــ حشر ٧
١٨٧ــ نجح ــ اى افلح
١٨٨ــ شعراء ٧٨
١٨٩ــ طه ٥٠

فسوى والذى قدر فهدى[١٩٠] ذكر مطلقاً شاملا للخاص والعام، بل زاد عليهما سوى ذلك، لانه ذكر مبدأ عالم الخلق و منتهاه، و هو قوله: خلق فسوى، وذكر مبدأ عالم الامر ومنتهاه، وهو قوله: قدر فهدى، فبامثال هذه المرامز يعرف فضيلة الانبياء، فهل هذه الكلمة الوجيزة الفصيحة الا من جوامع الكلم التى اوتى، و مجامع الحكم التى اعطى، و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً[١٩١] فكثيراً ما يجرى مثل هذه الكلمات الدالة على كمال مرتبتهم و نقصها، و فضيلة بعضهم على بعض، حيث قال ابراهيم عليه السلام: انى ذاهب الى ربى[١٩٢] سمى الروح الذى هو واسطة بينه و بين الرب ربا، اذ هو اية الرب الكبرى، المشار اليها بقوله: لقد رأى من ايات ربه الكبرى[١٩٣] و كذلك موسى عليه السلام فى قوله: وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك[١٩٤] و اما عيسى لما كان اقرب منهما واكمل، لكونه روح الله وكلمته، حيث غلبت عليه القوة الروحانية، فقال: انى ذاهب الى ابى و ابيكم السماوى، و من قوله هذا قالت النصارى المسيح ابن الله[١٩٥].

و اما سيدنا صلى الله عليه واله لما كان افضل الكل، لكون قواه معتدلا، بل القوة الروحانية فيه كانت مستعلية على النفسانية الغضبية والشهوية، حيث اسلم شيطانه على يده، بل بلغ فى فيضان الاشعة والانوار منها الى ان سماه الله تعالى سراجاً منيراً لعالم الارواح، كالشمس المسماة سراجاً وهاجاً لعالم الاجسام، سماه اخاً، والاخوان هما شعبتان الناشيتان من اصل واحد، فادعى التسوية بينه و بين نفسه من غاية شروق نور روحه و كمال فضل فتوحه، و بهذا المعنى سماه وقت الرجوع الى السموات العلى الرفيق الاعلى، كما قال المعلم الاول لليونانيين: سلمت نفسى الى مالك ارواح الفيلسوفيين، هذا بيان وجوب البعث والارسال للانبياء عليهم السلام.

و اما تحقيق ماهيتها، اى ماهية النبوة، والكشف عن حقيقتها، فقد مضى شطر من الكلام فى شرحها، و نقول هاهنا قولا مجملا مرسلا و هو:

١٩٠ــ اعلى ٢ و ٣ | ١٩١ــ بقره ٢٦٩
١٩٢ــ صافات ٩٩ | ١٩٣ــ نجم ١٨
١٩٤ــ اعراف ١٤٣ | ١٩٥ــ توبه ٣٠

ان الاجناس اربعة ، جوهر ثم جسم ، ثم نام ، ثم حيوان ، كما ان الانـواع اربعة ، الانسان ، وفوقه حيوان ، وفوقه نام ، و فوقه جسم ، و فوقه جـوهر ، ثم ان كل جنس وقع في الوجود ، بازائه مادة فيها قوة وجودالنوع الذى تحته ، و كل فصل يحصله نوعا وقع في الوجود بازائه صورة مكملة لتلـك ، فالمادة التى بازاء جنس الاجناس هى قوة محضة بلافعلية ، و هيولى اولى بلا كمال ، فكلما تصورت بصورة كمالية ، زال قصورها و ابهامها ، و هكذا استكملت و تصورت صورة بعد صورة و كمالا بعد كمال ، حتى لم يبق فيها شايبة قوة و نقص و قصور ، فبلغت دائرة الوجود في الصعود من مهبطها الذى هو نقطة الهيولى ، الى نقطة هى درجة العقل الاول ، و قدمر تحقيق ذلـك في مبحث اثبات الغايات والنهايات ، بازاء العلات الفاعلات والبدايات ، فكما ان المقصود من خلق الاجناس والمواد هى الانواع والصور ، وهكذا الى نوع الاخير والصورة الكاملة الانسانية ، فكذا القصد فى وجودالنوع الى الصنف الاشرف ، كالعالمين من الناس ، والمقصود من وجود الصنف ، ايجاد الشخص المقصود منه ، اخراج عضو صالح فيه نقطة صالحة لقبول الفيض اولا من الرحمة الواسعة الوجودية من الانوار الفلكية ، ثم من الاثار العلوية العقلية .

ثم من العناية الربانية والهداية الى صراط مستقيم ، للذين انعم الله عليهم نعمة غير مشوبة بنقمة الغضب والنكال ، وسقم الضلال والوبال ، و هى كالعلم والمحبة ، ثم الجذبة والولاية ، ثم النبوة والرسالة ، و هكذا الى غاية الرسالة و ختم النبوة ، و هذا كالبلدة فيها البيت ، فيه الحقة[196] فيها الدرة الفاخرة ، فبلدة القالب فيه بيت القلب فيه صدفة الروح المخزونة ، فيها جوهرة النفس الناطقة العاقلة ، فيها سر النبوة والولاية ، فهو اشرف من العقل الذى هو اشرف من ذلك الروح ، الاشرف من قلبه ، الاشرف من قالبه الاشرف من صنفه على مراتب ، و من نوعه على درجات ، و من جنسه على منازل ، كقوله تعالى: درجات من نشاء ، و فوق كل ذى علم عليم[197] و قوله : والذين اوتوا العلم

١٩٦ـ اى الوعاء الصغير ١٩٧ـ يوسف ٧٦

درجات[١٩٨] فالاشرف من كل جنس نبيه[١٩٩] كالشمس ، و من كل نوع نبيه ، كالانسان ، و من كل صنف نبيه ، كالحكيم ، و من كل شخص نبيه ، كالقلب و لهذا قال تعالى : ولكل قوم هاد[٢٠٠] و قال ايضاً : و ان من امة الاخلافيها نذير[٢٠١] و قال صلى الله عليه واله الشيخ فى قومه كالنبى فى امته .

فقد اجتمعت هذه الشرفات كلها فى درة يتيمة هى النفس الناطقة العاقلة الملكوتية ، التى هى نور على نور[٢٠٢] و صفاء فى صفاء ، و ضياء فى ضياء ، انشق فى جنب نوره نور القمر ، وانكسف عند ضيائه ضياء الشمس ، هوشمس الضحى بدر الدجى محمد المصطفى المزكى ، الذى لايزال نوره يستصفى ، و بدره يستكمل حتى فاز بالقدح المعلى والسهم الاوفى ، فهو كالشمس فى نصف النهار ، واولاده المطهرين ، كالبروج الاثنا عشر ، واصحابه واولياؤه المرضيون كالنجوم الزواهر ، واحبابه كالدرر الفواخر اوكالحباب الغر ، صلوات الله و سلامه عليه و اهل بيته المطهريـن ، و اولياء امته الهاديـن المهديين ، ما دب دبيب على البسيط ، وهب نسيم على المحيط ، ولاستصفاء روحه واستنقاء جسمه من هذه الارواح التى كالاصلاب الشامخة ، والاجسام الجنسية والنوعية ، التى هى كالبطون والاصداف ، امره تعالى بالاتكال عليه فى قوله : و توكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم ، و تقلبك فى الساجدين[٢٠٣] فسمى مبادى اجناسه و فصول انواعه ساجدين ، لكون كلهـم خاشعين مطيعين له ، و سمى تنقله من طور الى طور تقلبا .

و من هاهنا نشأت شبهة اهل التناسخ التى نسجتها عناكب اوهامهم فى زوايا خيالهم ، لكن الفرق حاصل عند التحقيق ، كما ذكرنا فى مباحث المعاد ، حيث بينا الفرقان الواضح بالبرهان ، بين تناسخ النفوس فى الابدان ، و بين حشرها و تقلبها فى الاطوار والنشات ، و تحولها من شأن الى شأن .

١٩٨ـ مجادله ١١
١٩٩ـ اى الشريف منها
٢٠٠ـ رعد ٧
٢٠١ـ فاطر ٢٤
٢٠٢ـ نور ٣٥
٢٠٣ـ شعراء ٢١٧ ـ ٢١٩

المفتاح الرابع عشر

فى طريق سلوك العبد الى الله سبحانه ، و فيه مشاهد :

المشهد الاول

فى تعريف مقام النبوة و انها غير حاصلة الا بالموهبة الربانية

قد مر بيان الفرق بين العلوم التعليمية واللدنية ، والان نقول : أعلم ان للعقول من حيث افكارها حداً يقف عنده لايتجاوزه ، و غاية ما يصل اليه فى معرفة الحق ان يعلم : ان لسلسلة الممكنات مبدأ يترجح به وجودها على عدمها ، وهو الواجب لذاته ، و ثبت له صفات يرجع اكثر مفهوماتها الى سلوب محضة او الى اضافات ، و بهذه المعلومات لايمكن الوصول الى الله، ولا يهتدى بها اليه اهتداء يطمئن به القلوب ، و يرتفع بهذا السلوك عن صاحبه الريب والشكوك ، ولاسبيل للعقلاء النظار وذوى الافكار اليه تعالى، غير انهم لما نظروا و بحثوا عن حقايق نفوسهم رأوا ان الصورة الجسدية والاعضاء البدنية ابداً فى الذوبان والسيلان ، و هى ثابتة ، وان الاجزاء الجسدية اذا ماتت كلا او بعضاً ، ما نقص من حقايق النفوس وقواها الروحانية شىء اصلا ، فعلموا ان المدرك والمحرك لهذا الجسد انما هو جوهر اخر زايد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزايد ، فعرفوا نفوسهم ، ثم عرفوا انها اشرف من الاجساد ، فانتقلوا بالنظر من شىء الى شىء اخر ، حتى انتهى بهم النظر الى شىء لايفتقر الى شىء ، لافى ذاته ولافى قوام ذاته ، ولا فى شىء من صفاته ، فحكموا بان ذاته يجب ان يكون بسيط الحقيقة ، احدى

الذات ، فرداني الوجوب ، من غير شوب ماهية او امكان ، او تغير او تكثر، وله غاية العظمة والجلالة والتقديس من صفات الاجسام والاحياز والامكنة والازمنة ، فهذه و امثالها غاية معرفتهم ، و هى و ان كانت صحيحة بوجه ، لكنها ليس معها الوصول الى اصل الاصول ، و انما هى بذر المشاهدة و شبح المقصود .

ومثل هذا الاستدلال ليس الا من وراء الحجاب ، و هل مثل هذه المعرفة الا كمعرفة من يرى ظل الشخص القائم فى الشمس به ، وهو فى البيت لايراه ، لكن يعلم يقيناً ان ثمة شخصاً قائما ، لكنه لايعلم من هو، و ما حقيقته و ذاته و نعوته الشخصية لعدم شهوده اياه ، فهو كالاعمى يلمس سطوح شخص فيدرك بالة لمسه بعض صفات ملموسه ، ولايشاهده و لايعلم حقيقته ولا جميع صفاته الحقيقية ، فاصحاب الادلة العقلية هم كالذين قال تعالى فيهم : اولئك ينادون من مكان بعيد[1] لانهم يجعلون الحق بعيداً عن انفسهم ، خارجا عن ذواتهم و ذوات الممكنات ، ممتازاً عن جميع وجودات ما سواه حتى المفارقات ، صادراً منه الموجودات الممكنة ، والحق يخبر عن نفسه انه قريب ، بقوله : و اذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب[2] و نحن اقرب اليه من حبل الوريد[3] و نحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون[4] و فى انفسكم افلا تبصرون[5] بل يخبر انه هو الاول والاخر والظاهر والباطن و هو بكل شىء عليم[6] .

و فى هذه الايات جعل نفسه عين كل ما ظهر و ما بطن ، و هو اعلم بذاته من غيره ، و قوله حق و صدق ، والايمان به واجب ، والقرب هنا و ان كان غير القرب الذى بين جسمين ، ولامابين جسم و عرض ، ولامابين عرضين فى محل واحد ، ولا ما يجرى مجراها ، ولكنه كالقرب بين الحقيقة و ما يتعين به، و اذا كان هذه السبيل غير موصلة ، فالاهتداء اليه تعالى ، اما باخباره تعالى عن نفسه بالسنة رسله و تراجمة امره ، او بتجليه لعباده واشهاده

١ــ فصلت ٤٤ ٢ــ بقره ١٨٦
٣ــ ق ١٦ ٤ــ واقعه ٨٥
٥ــ ذاريات ٢١ ٦ــ حديد ٣

نفسه لهم ، وجل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد ، او يطلع عليه الا واحداً بعد واحد ، فهم الانبياء والاولياء عليهم السلام ، الـذيـن هـم صفوةالله و خيرته ، و خلاصة اهل الوجود والشهود ، فوجب لطالب الحق اتباعهم والاقتداء بهم ، قال الله تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله[٧] و بقدر متابعة الانبياء و الاولياء يظهر للطالب السالك الانوار الالهية والاسرار الربانية ، والنبوة عطاء الهى لامدخل للكسب فيه ، والنبى هو المبعوث من الله لاشارد الخلق و هدايتهم ، المخبر عن ذاته و صفاته و افعاله ، و احكام الاخرة من الحشر والنشر ، والثواب للمحسن والعقاب للمسيء .

المشهد الثانى

فى باطن النبوة و ظاهره

ان للنبوة باطناً و هو الولاية ، وظاهراً و هو الشريعة ، فالنبى بالولاية يأخذ من الله او من الملك ، المعانى التى بها كمال مرتبته فى الولاية والنبوة ، و يبلغ ما اخذه من الله بواسطة اولا بواسطة الى العباد ، و يكلمهم به ويزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة ، ولا يمكن ذلك الا بالشريعة ، و هى عبارة عن كل ما اتى به الرسول صلى الله عليه واله من الكتاب والسنة ، و ما استنبط منهما من الاحكام الفقهية على سبيل الاجتهاد ، او انعقد عليه اجماع العلماء متفرع عليهما ، ولما كان للكتاب ظهراً و بطناً و حداً و مطلعا ، كما قاله عليه واله السلام فظهره مايفهم من الفاظه يسبق الـذهـن اليه ، وبطنه المفهومات اللازمة للمفهوم الاول ، وحده ما اليه ينتهى غاية ادراك الفهوم والعقول ، ومطلعه مايدرك منه على سبيل الكشف والشهود من الاسرار الالهية والاشارات االربانية ، والمفهوم الاول الذى هو الظهر للعوام والخواص ، والمفهومات اللازمة للخواص ، والحد للكاملين الاخصين منهم ، والمطلع للمكلمين و خلاصة اخص الخواص ، كاكابر الاولياء والعلماء الراسخين ، وكذلك التقسيم فى الاحاديث القدسية والكلمات النبوية ، فان فيها ايضاً انباعات

٧ـ آل عمران ٣١

رحمانية و اشارات الهية.

كان للشريعة ظاهر و باطن، و مراتب العلماء ايضاً فيها متكثرة، ففيهم فاضل و مفضول و عالم و اعلم، والذى نسبته الى نبيه اتم و قربه من روحه اقوى، كان علمه بظاهر شريعته و باطنه اكمل، والعالم بالظاهر والباطن احق ان يتبع، لغاية قربه من نبيه و قوة علمه بربه و احكامه و كشفه حقايق الاشياء و شهوده اياها، ثم من هو دونه فى المرتبة، الى ان ينزل الى علماء الظاهر فقط، و فيهم ايضاً مراتب، اذ العالم بالاصول والفروع احق ان يتبع من العالم باحدهما، واعنى بالاصول ما يستفاد من الكتاب والسنة، من العلم بالله و اياته و كتبه و صحفه و رسله و اوليائه واليوم الآخر، و ما يقتضى به العقل المنور بالنور الالهى والتجلى الرحمانى، من المسائل الحقة الالهية، لا المسائل الكلامية المختلف فيها اختلافا لايكاد يرتفع الى يوم القيامة لثبوت الدين و اصوله، والقائلون بها فى كتم العدم من افكارهم[8] و انظارهم، و بالفروع ما يستنبط بها[9] من المسائل الكلامية والاصول الفقهية والاحكام الفقهية.

فلكل من الظاهر والباطن علماء كلهم داخلون تحت حكم الخليفة، الذى هو العالم بالظاهر والباطن، واكمل من الكل، فالواجب على الطالب المسترشد اتباع علماء الظاهر فى العبادات والطاعات، والانقياد لعلم ظاهر الشريعة، فانه صورة علم الحقيقة لاغير، و متابعة الاولياء فى السير والسلوك، لينفتح له ابواب الغيب والملكوت، بمفاتيح اشاراتهم و هداياتهم، و عند هذا الفتح يجب له العمل بمقتضى علم الظاهر والباطن مهما امكن، وان لم يمكن الجمع بينهما، فمادام لم يكن مغلوباً لحكم الوارد والحال، ايضاً يجب عليه اتباع العلم الظاهر، وان كان مغلوبا لحاله، بحيث يخرج من مقام التكليف، فيعمل بمقتضى حاله، لكونه فى حكم المجذوبين، و كذلك العلماء الراسخون، فانهم فى الظاهر متابعون للفقهاء المجتهدين، و اما فى الباطن فلا يلزم لهم الاتباع، لان الفقهاء الظاهريين يحكمون بظاهر المفهوم الاول من القران و الحديث، و هؤلاء يعلمون ذلك مع المفهومات

٨ــ انكارهم (ن ل) ٩ــ منها (ن ل)

الاخر، والعارف لايتبع من دونه، بل الامر بالعكس، لشهوده الامر على ما في نفسه.

و لذلك لابد ان يرفع المهدى عليه السلام عند ظهور الخلافات بين اهل الظاهر، و يرفع الاجتهاد، و يجعل الاحكام المختلفة فى مسألة واحدة حكما واحدا، و هو ما فى علم الله سبحانه، و يجعل المذاهب حينئذ مذهباً واحداً، لشهوده الامر على ما هو عليه فى علم الله، لارتفاع الحجب عن عينى جسمه و قلبه، كما كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه واله، فاذا كان اجماع علماء الظاهر فى امر يخالف مقتضى الكشف الصحيح، الموافق للكشف الصريح النبوى والفتح المصطفوى، لايكون حجة عليهم، فلو خالف فى عمل نفسه من له المشاهدة والكشف، اجماع من ليس له ذلك، لايكون ملوماً فى المخالفة، ولا خارجا عن الشريعة، لاخذه ذلك عن باطن الرسول و باطن الكتاب والسنة.

المشهد الثالث

فى الولاية

اعلم ان الولاية مأخوذة من الولى و هو القرب، و لذلك يسمى الحبيب ولياً، لكونه قريبا من محبه، و فى الاصطلاح هو القرب من الحق سبحانه، و هى عامة و خاصة.

والعامة حاصلة لكل من امن بالله و عمل صالحاً قال الله تعالى: الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور[١٠].

والخاصة هو الفناء فى الله ذاتا و صفة و فعلا، فالولى هو الفانى فى الله، القائم المتخلق باسمائه و صفاته تعالى، و هى قد تكون عطائية، و قدتكون كسبية، و العطائية ما يحصل بقوة الانجذاب الى الحضرة الالهية قبل المجاهدة، والكسبية ما يحصل بالانجذاب اليها بعد المجاهدة، و من سبقت جذبته على مجاهدته يسمى بالمحبوب، لان الحق سبحانه يجذبه اليه، و من سبقت مجاهدته جذبته، يسمى بالمحب، لتقرب اليه اولا، ثم يحصل له

١٠ــ بقره ٢٥٧

الانجذاب ثانيا ، كما قال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله ناقلا عن ربه : لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه .... الحديث ، فجذبته موقوفة على المحبة الناتجة من تقربه ، و لذلك يسمى كسبيا ، و ان كان هذا التقرب ايضاً من جذبته سبحانه من طريق الباطن اليه و دعوته باستعداده الازلى الى حضرته ، اذ لولاه لما امكن لاحد ان يخرج من حظوظ نفسه ، والمحبوبون اتم كمالا و ارفع منالا من المحبين .

و اختلفوا فى ان الولى هل يجوز ان يعلم انه ولى ام لا ؟ فمنهم من قال لايجوز ، ذلك لان الولى يلاحظ نفسه بعين الاستصغار ، و ان ظهر شىء من الكرامات خاف ان يكون مكرا ، و هو يستشعر الخوف دائما سقوطه عما هو فيه ، و ان يكون عاقبته بخلاف حاله ، و هؤلاء لايجعلون من شرط الولاية وفاء المال ، و الحق عندنا خلافه ، فان اصل الولاية العلم بالله و صفاته و اياته و ملائكته و كتبه و رسله واليوم الاخر علماً شهودياً برهانياً ، والعلوم البرهانية غير قابلة للانمحاء والزوال والنسيان .

و منهم من قال : يجوزان يعلم الولى انه ولى ، و ليس من شرط تحقق الولاية فى‌الحال الوفاء فى المال ، و قيل : علامة الولاية ثلاث ، شغله بالله تعالى ، و فراره الى‌الله ، وهمه (الله) .

واعلم ان‌الولى كما اشرنا اليه هوالعارف بالله واليوم الاخر ، والمواظب على الطاعات و نفل العبادات ، المجتنب عن المعاصى واللذات ، المعرض عن الدنيا و مافيها ، المعصوم عن الجهل والخطاء ، و ليس عندنا من شرط الولاية ظهور الكرامة و خوارق‌العادة ، و ربما يظهر خرق‌العادة من غير الولى ايضا كالرهابين والمستعينين بالجن وغيرهم ، فلذا قالوا : ان الخوارق اربعة انواع : معجزة و كرامة و معونة واهانة ، فالمعجزة للانبياء ، والكرامة للاولياء ، و هى ظهور امر خارق للعادة ، غير مقارن للتحدى ، و بها يمتاز عن المعجزة ، و بمقارنة الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح ، والتزام متابعة النبى صلى‌الله عليه واله يمتاز عن الاستدراج ، و من مؤكدات تكذيب الكذابين .

كما روى : ان مسيلمة دعا لاعور ان يصير بصيراً بعينيه ، فصارت عينه الصحيحة عمياء ، و يسمى هذا اهانة ، و قد يظهر من عوام المسلمين مخلصاً

لهم من المحن والمكاره ، ويسمى معونة ، وذهب جمهور المسلمين الى جواز كرامة الاولياء ، و منعه اكثر المعتزلة ، و كذا ابواسحق الاسفراينى يميل الى قريب من مذاهبهم ، كما ذكره امام الحرمين ، و لا يخفى ان انكار كرامات الاولياء مكابرة محضة ، لبلوغ الخبر عنها حدالتواتر ، و انكارها كانكار معجزات الانبياء ليس بعجب من اهل البدع والاهواء ، اذلم يشاهدوا ذلك من انفسهم قط ، ولم يسمعوا من رؤسائهم ، الذين اعتقدوا فيهم انهم على شىء فى امر الدين والديانة ، والاجتناب عن المعصية ، فوقعوا فى اولياء الله اصحاب كرامات ، يمزقون اديمهم ، و يمضغون لحومهم ، لايسمونهم الا باسم الجهلة المتصوفة ، ولايعدونهم الا فى عدد احاد المبتدعة والمتفلسفة ، و لم يعرفوا ان بناء هذا الامر على صفاء العقيدة ، و نقاء السريرة ، واقتفاء الطريقة ، و اصطفاء الحقيقة .

المشهد الرابع

فى دفع حجج المنكرين للكرامة

ثم ان للمخالف لثبوت كرامة الاولياء وجوها :

الاول و هو العمدة : انه لو ظهرت الخوارق من الولى ، لالتبس النبى بغيره ، اذ الفارق هوالمعجزة ، و رد بما مر من الفرق بين المعجزة والكرامة.

والثانى : انها لو ظهرت تكثرت بكثرة الاولياء ، و خرجت عن كونها خارقة للعادة .

والثالث : لوظهرت لالغرض التصديق ، لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة ، لجواز ان يكون ما ظهر من النبى لغرض اخر غيرالتصديق ، ورد بما مر من انها عند مقارنة الدعوة يفيد التصديق قطعا .

والرابع : ان مشاركة الاولياء للانبياء فى ظهور الخوارق يخل بعظم قدرالانبياء و وقعهم فى النفوس ، ورد بالمنع ، بل يزيد فى جلالة اقدارهم ، و الرغبة فى اتباعهم ، حيث نالت اممهم و اتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشريعتهم ، والاستقامة على طريقتهم .

والخامس : و هو فى الاخبار عن المغيبات قوله تعالى : عالم الغيب

فلايظهر على غيبه احداً الا لمن ارتضى من رسول[۱۱] خص الرسول من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، فلا يطلع غيرهم، و ان كانوا اولياء مرتضين.

فما يشاهد من الكهنة، القاء الجن والشياطين، و من اصحاب التعبير والنجوم ظنون و استدلالات، ربما يقع و ربما لايقع، وليس من اطلاع‌الله فى شىء.

والجواب: ان الغيب هاهنا ليس للعموم، بل مطلق اومعين، هو وقت وقوع القيامة بقرينة سياق الكلام، ولا يبعد ان يطلع عليه بعض الرسل من الملائكة و البشر، فيصح الاستثناء و ان جعل منقطعا، فلاخفاء، بل لا امتناع فى جعل الغيب للعموم، لكون اسم الجنس المضاف، بمنزلة المعرف باللام، سيما و قد كان فى‌الاصل مصدراً، او يكون الكلام لسلب العموم، اى‌لايطلع على كل غيبه احد، و هو لاينافى اطلاع البعض على بعض، و كذا لا اشكال ان خص الاطلاع بطريق الوحى، و بالجملة ان الاستدلال مبنى على ان‌الكلام لعموم السلب، اى لايطلع على شىء‌من غيبه احد من الافراد نوعا من الاطلاع، و ذلك ليس بلازم.

المشهد الخامس

فى مرتبة الحكماء النظار و مقامهم فى العلم بالله والهدى

انهم قد انفردوا فى نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيدالله و تنزيهه عن النقايص الامكانية، و ما ينبغى لجلاله من التعظيم والتقديس، و صفات الكبرياء و نفى المثل و الشبيه و انهم حرضوا الناس على النظر، و اعلموهم: ان للعقول من حيث افكارها حداً يقف عنده لا يتجاوزه، و ان لله على قلوب بعض عباده فيضاً الهياً يعلمهم من لدنه، و لم يبعد ذلك عند محققيهم، و ان‌الله قد اودع فى العالم العلوى العقلى اموراً استدلوا عليها بوجود اثارها فى العالم الحسى السفلى، و هو قوله تعالى: و اوحى فى كل سماء امرها[۱۲] ثم بحثوا عن حقايق النفوس الانسانية، فوجدوها متصلة بعالم الامر، فاثبتوا لها جوهراً الهياً هو مكملها و متممها، و مخرجها من حد القوة النفسانية الى حد الجواهر العقلى، صايرة اياه، مشاهدة لحقايق الاشياء بنوره كنور

۱۱ــ جن ۲۶ ۱۲ــ فصلت ۱۲

الشمس المحسوس بالقياس الى قوة الابصار، حيث يخرج به من القوة الحسية الى الفعل، صايرة اياه متحدة به، مبصرة به لسائر المستنيرات، فهذا حدالعقل بافكاره، فبيناهم كذلك اذا قام شخص من جنسهم، لم يكن عندهم من المكانة فى العلم النظرى، بحيث ان يعتقدوا فيه اعتقادا بالغاً، فقال لهم : انارسول الله اليكم، فقالوا : الأنصاف اولى، انظروا فى نفس دعواه، هل ادعى ما هو ممكن اومحال ؟ فقالوا : عندنا قدثبت بالدليل، ان لله فيضاً الهيا يجوز ان يمنحه بعض عباده، كما افاض ذلك على بعض الارواح الفلكية و هذه العقول، فمابقى نظر الا فى صدق هذا المدعى او كذبه، ولا نقدم على شىء من هذين الحكمين بغير دليل، فانه سوء ادب مع علمنا، فقالوا هل لك دليل على صدق ما تدعيه ؟ فجائهم بالدلايل، فنظروا فى ادلته فعلموا صدقه، و ان الذى اوحى فى كل سماء امرها[١٢] كان مما قداوحى فى سماء روح هذا الشخص ما جاء به من الايات والعلوم، فاسرعوا اليه بالايمان والتصديق، و علموا ان الله قد اطلعه على ما اعده فى العالم العلوى من المعارف ما لم يصل اليه افكارهم، ثم اعطاه من المعرفة ما لم يكن عندهم، ورأوا فى نزوله الى العامى الضعيف العقل والرأى مما يصلح لعقله، والى الكبير العقل الصحيح الرأى مما يصلح لعقله، فعلموا ان الرجل من الفيض الالهى عنده ماهو وراء طور عقلهم، و ان الله قداعطاه من العلم ما لم يعطهم، فقالوا بفضله و منه و تقدمه عليهم، و امنوا و صدقوه و اتبعوا نوره، فعين لهم الافعال المقربة الى الله، و علمهم بما خلق الله من الممكنات فيما غاب عنهم، و ما يكون منه تعالى فيهم فى المستقبل من البعث والنشر و الحشر والجنة والنار، فقبلوا ما اعلمهم به من الغيوب و امنوا به، و ما عاند احد منهم الا من لم ينصح نفسه فى علمه، واتبع هواه و طلب الرياسة على ابناء جنسه، و جهل نفسه و ربه فعلمت العقلاء عند ذلك : ان بعثة الرسول لتتميم ما قاله العقول، من العلم بالله و باليوم الاخر و معرفة النفس و معرفة الرب، ولا نعنى بالعقلاء المتكلمين اليوم، و انما نعنى بهم من كان على طريقة العقلاء العلماء من الشغل بنفسه، و الرياضات والمجاهدات، البصير بحقايق الدنيا و فنائها، العالم بدقايق

١٢ــ فصلت ١٢

احوال النفس و صحتها و سقمها بالاخلاق الحسنة والرذيلة ، والتهيوء لواردات ما يأتيهم عند صفاء قلوبهم من العالم العلوى ، فاولئك هم المرادون من العقلاء .

فاما اصحاب القلقلة[١٣] والكلام والجدل ، الذين استعملوا افكارهم فى موادالالفاظ التى صدرت عن الاوائل ، و غابوا عن الامر الذى اخذوه عن اولئك الرجال تلقفاً عن غير بصيرة ، فهم و من كان على مدرجتهم لاقدر لهم عند كل عاقل ، فانهم يستهزؤن بالدين ، و يستخفون بعبادالله ، ولا يعظم عندهم الا من هو منهم و على طريقهم ، قد استولى عليهم حب الغلبة على الاقران و المماراة ، واستحكم فى قلوبهم مرض النفس وطلب الجاه والرياسة بحيث لايرجى زواله سرمداً ، فاذلهم الله كما اذلوا العلم ، و صغرهم كما صغروها ، والجأهم الى ابواب الملوك و دور امراء الجور اذلاء صاغرين، و امثال هؤلاء لا يعتبر قولهم فى باب الدين ، كمالا يعتبر قول المرضى و المجانين فى باب الدنيا ، و ان كانوا عند انفسهم و عند بعض الحمقاء و الجاهلين عقلاء علماء ، فان من له بصيرة قلبية يراهم : و قد ختم الله على قلوبهم ، واصمهم و اعمى ابصارهم ، مع الدعوى العريضة انهم افضل العالم، فالفقيه الرسمى ، المفتى فى دين الله مع قلة ورعه بكل حال : احسن حالا و مالا من هؤلاء العقلاء على زعمهم ، و حاشا العاقل الحكمى ان يكون بمثل هذه الصفة ، و قد ادركنا قبل هذا بعشر سنين ، و قد بلغ سنى خمسين ، ممن كان على طريقة اولئك المتقدمين قليلا ، و كان اعرف الناس بجلالة الرسل، و من اعظم الناس اقتداء بسنتهم ، واجدهم محافظة على دينهم عارفا بما ينبغى بجلال الحق من التعظيم ، عالما بما خص الله به عباده من النبيين ، و اتباعهم من العلم بالله ما يخرج عن التعليم المعتاد ، والدرس والاجتهاد ، فهذا حد العقول النظرية .

و اما معرفة اسماء الله تعالى ، و شهود الحق فى مظاهر الاسماء ، و خلقه السموات والارض فى ستة ايام ، و استوائه على العرش ، و معرفة احوال القيامة ، و كشف القبور والمعاد الجسمانى ، والعلم بالجنة والنار الجسمانيين،

١٣ــ اى الصوت .

و معرفة فناء الخلق كلهم فى الطامة الكبرى و القيامة العظمى، و شهود كرام الكاتبين ، و ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ، فهذه و امثالها امور خارجة عن اقليم العقلاء المتفكرين ، وسعة دايرة عقولهم الفكرية ، بل ادراكها متوقف على نور النبوة و الولاية ، كما ان ادراك كثير من المقاصد الحكمية خارج عن حد المتكلم ، يهدى الله لنوره من يشاء[١٤] .

المشهد السادس

فى تأكيد الفرق بين طريق العقلاء النظار، وطريق الاولياء ذوى الالهام والاستبصار

و اعلم اولا ان النفس فى اول الامر خالية عن العلوم كلها ، ولها بحسب اصل الفطرة قوة محضة هيولانية ، و انما يحصل للقلب من الله تعالى بحسب مالها من الفطرة الثانية علوم كمالية و انوار عقلية ، اما ابتداء من غير اكتساب كأنها القيت اليه من حيث لايدرى ، و ذلك لشدة استعداده للتنوير كفتيلة استعدت للاشتعال، فكاد زيتها يستضىء ولولم تمسسه نار، و اما عقيب طلب اكتساب و استدلال ، والذى يحصل لا بالاكتساب و بغير تمحل[١٥] استدلال و اجتهاد من العبد ، ينقسم الى ما لايدرى العبد انه كيف حصل له ، و من اين حصل ، والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم ، و هو مشاهدة الملك الملقى فى القلب ، والاول يسمى الهاماً و نفثاً فى الروع ، و الثانى يسمى وحياً و يختص به الانبياء سلام الله عليهم ، والاول يختص به الاولياء ، والذى قبله هو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به الحكماء، فكل نبى ولى دون العكس ، و كل ولى حكيم من حيث المعرفة لا من حيث الطريق ، دون العكس .

و اما المتكلم فليس له طريق يؤدى الى بصيرة ولا الى معرفة اصلا ، و حقيقة القول كما ذكره بعض العلماء[١٦] : من ان القلب يستعد لان يتجلى فيه حقيقة الحق فى الاشياء كلها ، و انما حيل بينه و بينها بالاسباب التى سبق

١٤ــ نور ٣٥
١٥ــ اى الحيلة اى الجودة فى الذهن
١٦ــ وهو الامام ابى حامد الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين

ذكرها فی‌مثال المراة ، فهی كالحجاب الحايل بين مراة القلب و بين اللوح المحفوظ الذی مكتوب فيه جميع ما قضی‌الله تعالی به‌الی يوم القيامة، فيتجلی حقايق العلوم من مراة اللوح فی مراة القلب ، و هذا التجلی من اللوح الی القلب يضاهی انطباع صورة من مراة فی مراة تقابلها ، والحجاب بين‌المراتين تارة يزال بتعمل من استعمال جارحة ، و تارة يزال بسبب علوی ، كهبوب ريح يحركه ، فكذلك قد تهب رياح الطاف‌الله ، فتكشف الحجب عن اعين القلوب ، فينجلی فيها بعض ما هو مسطور فی‌اللوح المحفوظ ، فلم يفارق الالهام الاكتساب فی نفس العلم ، ولا فی محله و لا فی سببه ، لكن يفارقه من جهة زوال الحجاب ، فان ذلك ليس باختيار العبد ، و لم يفارق الوحی الالهام فی شیء من ذلك ، بل فی مشاهدة الملك المفيد للعلم ، فان العلوم يحصل فی‌القلب مادام بقاء انيته بواسطة الملائكة .

اذا عرفت هذا فاعلم : ان[۱۷] هذا ميل اهل التصوف فی باب العلوم الالهية[۱۸] دون التعليمية ، فلهذا لم يحرصوا علی دراسة العلم و مطالعة[۱۹] ما صنفه المصنفون والبحث عن اقاويلهم، بل طريق قطع العلايق ومحو الصفات والاقبال بكنه الهمة الی‌الله ، و مهما حصل ذلك ، فكان‌الله هوالمتولی لقلب عبده ، والمتكفل لتنويره بانوار العلم ، و اذا تولی الله امر القلب فاضت عليه الرحمة ، و اشرق النور فی‌القلب ، وانشرح الصدر ، و انكشف له‌سر الملكوت، و انقشع عن وجهه حجاب العزة ، و تلالا فيه حقايق الامور الالهية والجواهر العقلية ، فقد رجع هذا الطريق الی تطهير محض من جانبك ، و جلاء و تصفية، ثم استعداد و انتظار فقط ، فمن كان‌لله كان‌الله له .

و اما العلماء النظار و ذووالاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق و امكانه ، و افضائه الی هذا المقصد علی وجه الندور ، فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ، و لكن استوعروا هذا الطريق ، و استبطئوا ثمرته ، و استبعدوا اجتماع شروطه ، وزعموا ان محو العلايق الی ذلك الحد كالمتعذر ، و ان حصل فی حال فثباته ابعد منه ، اذ ادنی وسواس وخاطر يشوش القلب، كما

۱۷ـ ان ميل (احياء) ۱۸ـ الی العلوم الالهامية (احياء)
۱۹ـ و تحصيل (احياء)